وصايا الرسول ﷺ
والخلفاء الراشدين

إعداد
عبد الحميد شاكر

جروس برس

Bibliotheca Alexandrina
0129260

وَصَايا الرَّسُول وَالخلفَاء الرَّاشِدين

وَصَايا الرَّسُول وَالخلفاء الرّاشِدين

إعداد

عبد الحميد شَاكِر

جـرّوس پـرس

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٩٩٤ م - ١٤١٥ هـ

جروس برس

طرابلس - لبنان

فاكس: ٠٠١ ٢١٢٤ ٧٨٢٧٩٠

المقدمة

الحمد لله الذي بعث رُسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للنّاس على الله حجةٌ بعد الرُّسُل، والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى آله وصحبه.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿والعَصْرِ ۞ إنَّ الإنسانَ لفي خُسْرٍ ۞ إلاّ الذين آمنوا وَعملوا الصالحاتِ وتَوَاصَوْا بالحق وتَوَاصَوْا بالصبر﴾[١] فهذا القسم العظيم بالدهر على الخسران المبين إلاّ لمن جمعوا الإيمان والعمل الصالح وأوصوا بعضهم بعضاً بالحق والخير وعبادة الإله الأوحد وفعل الطاعات وترك المحرّمات والصبر على الشدائد والمصائب.

ولقد كان رسول الله (ﷺ) قدوة يُقتدى به في إخلاصه وجهاده وصبره فهو المثل الأعلى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ في رَسولِ اللهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ لمن كان يَرجُوا الله واليوم الآخر وَذَكَرَ الله كَثِيراً﴾[٢] في جميع أقواله وأفعاله لأنه لا ينطق ولا يفعل عن هوى بل عن وحيٍ وتنزيل ﴿وما ينطِقُ عَنِ الهوى ۞ إن هو إلاّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[٣] فلذلك وجب علينا اتباع نهجه وسلوك طريقه وما جاءنا (ﷺ) إلا بالحق معلّماً جادًّا وهادياً بالدين من عند الله للنّاس كافّةً ﴿يا أيها النَّاسُ قد جَاءكُمُ الرَّسُولُ بالحقِّ من رَبِّكُمْ فآمنوا خيراً لَكُمْ﴾[٤] فطاعة الرسول واجبة لأنه (ﷺ) مبلّغٌ عن الله، وقد رغّب سبحانه وتعالى بطاعة الرسول (ﷺ) بقوله: ﴿من يُطِعِ

---

(١) سورة العصر، الآيات ١ – ٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢١.
(٣) سورة النجم، الآية ٣ – ٤.
(٤) سورة النساء، الآية ١٧٠.

الرسولَ فَقَدْ أطَاعَ اللهَ ومن تولّى فما أَرسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفيظاً﴾[1] كما أمر بطاعته قائلاً: ﴿ياأيها الذينَ آمنُوا أطيعوا اللهَ وأطيعُوا الرسُولَ وأولي الأمرِ مِنْكُمْ﴾[2] فهذه الطاعة واجبة كما وجبت وصايا الأنبياء والرسل من قبل ﴿ووصّى بها إبراهيمُ بنيهِ ويعقوبُ﴾[3] ﴿شَرَعَ لكُمْ من الدينِ ما وَصّى بِهِ نوحاً﴾[4] ﴿ولقد وصّينا الذين أوتُوا الكتاب من قَبلِكُمْ وإِياكم أنِ اتقُوا الله﴾[5]، وفي الأثر الشريف عن العرباض بن سارية أنه قال: وعظنا رسول الله (ﷺ) يوماً بعد صلاة الصبح موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إنّ هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله، فقال: «أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ، والسمع والطاعة، ولو تأمّر عليكم عبد فإنه من يعشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسُنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجِذِ، وإِياكم ومحدثاتِ الأمور، فإنّهُ كلّ مُحدثة بدعة، وكلُّ بِدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النّار»[6].

من هنا كان العمل في هذا الكتاب جمع وصايا الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين.

وإنني لأرجو أن أكون قدمت عملاً جديدًا يكون للمسلمين منارة ومثالاً يحتذى به، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

عبد الحميد شاكر

---

(١) سورة النساء، الآية ٨٠.
(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٣٢.
(٤) سورة الشورى، الآية ١٣.
(٥) سورة النساء، الآية ١٣١.
(٦) أخرجه أبو داود والترمذي.

الباب الأوَّل:

وصايا الرسول

أوصاني ربِّي بِتِسْعٍ، وأنا أوصِيكُمْ بها: أوصاني بالإخلاصِ في السِّرِّ والعَلانِيَةِ، والعَدْلِ في الرِّضا والغَضَبِ، والقَصْدِ في الغِنى والفَقْرِ، وأنْ أعْفُوَ عَمَّن ظَلَمَني، وأُعطي مَنْ حَرَمَني، وأَصِل مَنْ قَطَعَني، وأَنْ يكونَ صَمْتي فكراً، ونُطْقي ذِكْراً، ونَظَري عبراً[1].

★ ★ ★

(١) لباب الآداب ص٥.

الفصل الأوّل:

ترجمته

«هو محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، من عدنان، من أبناء إسماعيل بن إبراهيم الخليل (٥٣ ق هـ/ ٥٧١ م - ١١هـ/ ٦٣٣م) النبي العربي، مؤسس الجامعة الإسلامية، وواضع بناء حضارتها، جامع شمل العرب، ومجدّد حياتهم السياسية والتشريعية، أبو القاسم (عليه الصلاة والسلام). ولد بمكة. ونشأ يتيماً، ربّته أمه آمنة بنت وهب، وماتت وعمره ست سنين، فكفله جده «عبد المطلب» ومات جده بعد سنتين، فكفله عمه «أبو طالب»، ونشأ شجاعاً عالي الهمة، صادقاً، فاضل الأخلاق، كامل العقل، لقبه قومه بالأمين. ولما بلغ الخامسة والعشرين زوجه عمه بخديجة بنت خويلد الأسدية القرشية، وهي تكبره بنحو ١٥ سنة، وكانت غنية أرسلته قبل الزواج بتجارة إلى الشام فأفلح وربح. ولما بلغ الأربعين من عمره بدىء بالرؤيا الصادقة، وحُببت إليه الخلوة، فكان يقضي شهراً من كل عام في حراء (على مقربة من مكة) يتحنث (كما كانت قريش تفعل في الجاهلية. والتحنث التعبد) فلما بلغ الثالثة والأربعين، في رمضان (١٣ق هـ = ٦١٠ م) أوحي اليه في غار حراء بآية: ﴿اقرأ بِاسمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ☆ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾(١).

(١) سورة العلق، الآية ١ - ٢.

وشرع يدعو من حوله سرّاً، فآمنت به زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب، وصديقه أبو بكر، ومولاه زيد بن حارثة، وجماعة من قومه، فأعلن الدعوة إلى الإسلام بالتوحيد ونبذ الأوثان وخرافاتها. وهزأت به قريش وآذته، فصبر، وحماه عمه أبو طالب حتى مات. وأسلم عمه حمزة وعمر بن الخطاب، فقوي بهما. واشتد أذى قريش لأصحابه، فأذن لمن ليس له عشيرة تحميه بأن يهاجر إلى أرض «الحبشة»، فهاجر ثلاثة وثمانون رجلاً عدا النساء والأولاد.

ثم أسلم بمكة ستة من الأوس والخزرج من أهل المدينة (وكانت تسمى يثرب) وعادوا إليها، فلم يلبث أن جاءه منها اثنا عشر رجلاً فآمنوا به، فبعث معهم «مصعب بن عمير» ليعلمهم شرائع الإسلام والقرآن، فلم يمض غير قليل حتى انتشر الإسلام في المدينة، ووفد عليه جمع من أهلها فدعوه وأصحابه إلى الهجرة إليهم، وعاهدوه على الدفاع عنه، فأجاب دعوتهم، وأمر أصحابه بالخروج من مكة، ثم لحقهم. وبلغ قريشاً خبر هجرته، فتبعوه ليقتلوه، فنجا.

ودخل المدينة، فبنى فيها مسجده، وجهر بنشر الدعوة، وكانت قريش تحول بينه وبين ذلك، في مكة، بالقوة. وبسنة دخوله المدينة يبتدئ التاريخ الهجري، وكان سنة ٦٢٢ م.

ولم يدعه مشركو قريش آمناً في دار هجرته، بل كانوا يقصدونه لقتاله فيها، فنزلت آيات «الإذن بالقتال» مبينة سببه، ووجه الحاجة إليه. وأولها ﴿أُذِنَ للذينَ يُقاتَلونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾[1]. وكانت المعركة الأولى بينه وبين قومه (قريش) في «بدر» بجوار المدينة... وفي شأنها نزلت

---

(١) سورة الحج، الآية ٣٩.

الآية: ﴿وأَعِدّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ومِنْ رِبَاطِ الخَيلِ﴾[1]. وكانت غزوة «بدر الكبرى» هذه في رمضان من السنة الثانية للهجرة. وتلتها غزوة «بني قينقاع»، وهم قبيلة من اليهود كان النّبي ﷺ قد عاهدهم وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وحرية دينهم، فنقضوا عهده.

وفي السنة الثالثة كانت غزوة «أحد» في الجبل المشرف على المدينة المسمى بهذا الاسم.

وفي الرابعة غزوة «ذات الرقاع» و «بدر الثانية».

وفي الخامسة غزوة «الخندق» وغزوة «بني قريظة».

وفي السادسة غزوة «ذي قرد» و «بني المطلق» وفيها بعث النبي ﷺ الرسل إلى كسرى وقيصر والنجاشي، وغيرهم من عظماء الملوك كالمقوقس بمصر، والحارث الغساني بالشام، يدعوهم إلى الإسلام.

وفي السنة السابعة كانت غزوة «خيبر».

وفي الثامنة غزوة «مؤتة» و «حنين» وفيها، قبل حنين، فتح المسلمون «مكة» وكانت معقل المشركين، من قريش وغيرهم.

وفي التاسعة غزوة «تبوك». وكان النصر في أكثر هذه الوقائع للمسلمين.

وفي العاشرة أقبلت وفود العرب قاطبة على النّبيّ ﷺ وهو بالمدينة. وبعث ابن عمه «علي بن أبي طالب» إلى اليمن فأسلمت «همدان» كلها، وتتابع أهل اليمن وملوك حمير على الإسلام.

وحج حجة الوداع (سنة ١٠هـ) وكانت خطبته فيها، وهو على ناقته،

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

من أطول خطبه وأكثرها استيعاباً لأمور الدين والدنيا.

وفي أواخر صفر (سنة ١١ هـ) حُمَّ بالمدينة، وتوفي بها في ١٢ ربيع الأول، ودفن في مرقده الشريف.

أما معجزته الخالدة التي بنيت عليها الدعوة، فالقرآن الكريم.

وأما صفاته: فكان إذا خطب (في نهي أو زجر) احمرّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش؛ وإذا خطب في الحرب اعتمد على قوس، وفي السلم على عصا. وكان طويل الصمت، قليل الضحك، وإذا ضحك وضع يده على فيه، وإذا تكلم تبسم. يجلس ويأكل على الأرض، ويجيب دعوة المملوك، على خبز الشعير. وكان إذا مشى لم يلتفت، وإذا التفت التفت جميعاً، يتكفأ في مشية كأنما ينحط من صبب. وإذا اهتم لأمر أكثر من مسّ لحيته. وإذا أراد غزوة ورّى بغيرها. فيه دعابة قليلة، وإذا مزح غض بصره. في كلامه ترتيل وترسيل. شديد الحياء. ضخم الرأس واليدين والقدمين. ليس بالطويل ولا القصير. سبط الشعر. لونه أسمر، وخلقته تامة، وعيناه سوداوان، وفي خديه حمرة. متواضع في غير مذلة. يمسح رأسَه ولحيته بالمسك، ويرسل شعره إلى أنصاف أذنيه، ويلبس قلنسوة بيضاء. وما صافحه أحد فترك يده حتى يكون ذلك هو الذي يترك يده. وكان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويجالس المساكين. خطيباً أوتي جوامع الكلم، شجاعاً بطلاً - قال علي بن أبي طالب: كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول اللّه، فكان أقربنا إلى العدو - ولكنه لم يقتل بيده إلا رجلاً واحداً حاول قتله ﷺ فسبقه بطعنة في لبته.

من كلامه عليه الصلاة والسلام: «خير ما أعطي الناس: خلق حسن».

«لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له».

«أحب الجهاد إلى اللّه: كلمة حق تقال لإمام جائر».

«الأرواح جنود مجنّدة: فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف».

«خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره».

«لكل شيء آفة تفسده، وآفة هذا الدين ولاة السوء».

«ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذي».

«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

«الجنة تحت أقدام الأمهات».

«ألا أدلكم على أشدكم؟ أملككم لنفسه عند الغضب».

«أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما؛ وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما».

وأما أسرته (ﷺ) فان زوجته الأولى «خديجة» استمرت معه وحدها إلى أن توفيت (سنة ٣ ق هـ) وقد ولدت له «القاسم» و «عبد اللّه» و«زينب»، و«رقيّة» و «أم كلثوم» و «فاطمة». ومات القاسم وعبد اللّه صغيرين، فلم يبق له ولد ذكر، فتزوج بعدها أربع عشرة امرأة دخل باثنتي عشرة منهن، وتوفي وعنده تسع، ولم يولد له غير إبراهيم (من سريته مارية) ومات إبراهيم طفلاً لم يبلغ سنتين. وتوفي جميع أولاده في حياته إلا ابنته فاطمة، وكان قد تزوجها ابن عمه علي بن أبي طالب، فولدت له «الحسن» و«الحسين»، فانحصرت فيهما نسبة كل

منتسب إلى رسول الله. وولدت ولداً ثالثاً سمته محسناً. مات صغيراً. وكان للنّبيّ ﷺ كتّاب يملي عليهم، لأنه لم يتعلم الكتابة، وحراس اتخذهم، حتى أوحي إليه: ﴿واللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1] فتركهم؛ ومؤذنون، وسيافون، ورسل، وشعراء، وخطباء، وخدم، وخيل، وبغال وإبل، وسلاح كثير من سيوف ودروع وقسي ورماح وغيرها.
وكان عدد صحابته يوم توفي (١٢٤٠٠٠)»[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٦٧.
(٢) الزركلي: الأعلام ٦/٢١٨ - ٢١٩.

الفصل الثاني:

وصيَّته لمعاذ بن جبل

قال رسول الله (ﷺ) يوصي معاذ بن جبل[1] لمّا بعثه إلى اليمن، وقد مشى معه أكثر من ميل[2]:

يا مُعاذُ، أوصِيكَ بتقوى اللهِ ٱلعَظيمِ، وصِدْقِ الحَديثِ، وأداءِ الأَمانةِ، وتَرْكِ ٱلخِيانَةِ، وحِفْظِ الجارِ، وخَفْضِ الجَناحِ، ولينِ ٱلكلامِ، ورَحْمَةِ ٱليَتيمِ، والتَّفَقُّهِ في ٱلقُرآنِ، وحُبِّ الآخرةِ.

يا مُعاذُ، لا تُفْسِد أَرْضاً، ولا تَشْتُمْ مُسْلِماً، ولا تُصَدِّقْ كاذِباً، ولا تَعْصَ إماماً عادِلاً.

يا مُعاذُ، أوصِيكَ بذِكْرِ اللّهِ عِنْدَ كُلِّ شَجَرٍ وحَجَرٍ، وأَنْ تُحْدِثَ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً، السِّرَّ بالسِّرِّ، والعَلانِيَةَ بالعَلانِيَةِ.

يا مُعاذُ، إنّي أُحِبُّ لَكَ ما أُحِبُّ لنَفْسي، وأكرَهُ لَكَ ما أكرَهُ لِنَفْسي.

---

(١) هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي (٢٠ ق. هـ./٦٠٣ م - ١٨هـ/ ٦٢٩ م) صحابي جليل، من أعلم الأمة بالحلال والحرام. وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي (ﷺ). أسلم وهو فتى، وآخى النبيّ (ﷺ) بينه وبين جعفر بن أبي طالب. وشهد العقبة مع الأنصار السبعين، وشهد بدراً وأحداً والخندق وغيرها. أرسله الرسول (ﷺ) بعد غزوة تبوك قاضياً ومرشداً لأهل اليمن. (الزركلي: الأعلام ٧/٢٥٨).

(٢) لباب الآداب ص١٠ - ١١.

يا مُعاذُ، إنِّي لَو أَعْلَمُ أنّا لو نَلْتَقي لَقَصَّرْتُ لَكَ مِنَ الوَصِيَّةِ، ولكنّي لا أُرانا نلتقي إلى يومِ ٱلقِيامَةِ.

يا مُعاذُ، إنَّ أحبَّكُمْ إليَّ مَنْ لَقِيَني يومَ القِيامَةِ على مِثْلِ ٱلحالةِ التي فارَقَني عليها.

★ ★ ★

وقال معاذ بن جبل:

أوصاني الرسول أنْ أنْظُرَ إلى مَنْ هُو دُوني، ولا أنْظُرَ إلى مَنْ هُوَ فَوْقي، وأوصاني بحُبِّ المساكينِ، والدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وأوصاني أنْ لا أسْأَلَ أحَداً شيْئاً، وأوصاني أنْ أصِلَ رَحِمي، وإن أدْبَرَتْ، وأوصاني أنْ أقولَ الحقَّ وإن كانَ مُرّاً، وأوصاني أنْ أقولَ: لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلاّ باللَّهِ، وأوصاني أنْ لا أخافَ في اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ[1].

★ ★ ★

(١) لباب الآداب ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

الفصل الثالث:

وصيَّته لأنس بن مالك

قال الرسول (ﷺ) لأنس بن مالك[1] يوصيه[2].

يا بُنيَّ، عَلَيْكَ بإسْباغِ الوُضوءِ، يُزَدْ في عُمُرِكَ، ويحبُّكَ حافظاكَ. يا بُنَيَّ، بالِغْ في غُسْلِكَ مِنَ الجَنابةِ[3]، فإنَّك تَخْرُجُ من مُغْتَسَلِكَ ولَيْسَ عَلَيْكَ ذَنْبٌ ولا خَطِيَّةٌ.

يا بُنَيَّ، كنْ إنِ استَطَعْتَ أنْ تكونَ على وُضوءٍ فافعَلْ، فإنَّهُ مَنْ أتاهُ مَلَكُ الموتِ وَهُو على وُضوءٍ أعطِيَ الشَّهادَةَ.

يا بُنَيَّ، إنِ ٱسْتَطَعْتَ أنْ لا تزالَ تُصَلّي، فإنَّ ٱلملائِكةَ تُصَلِّي عَلَيْكَ ما دُمْتَ تُصَلِّي.

يا بُنَيَّ، إياكَ والالتِفاتَ في ٱلصَّلاةِ، فإنَّهُ هَلَكَةٌ. يا بُنَيَّ، إذا رَكَعْتَ فٱرفَعْ يَدَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ، وضَعْ كَفَّيكَ على رُكْبَتَيْكَ.

---

(١) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري (١٠ ق. هـ/ ٦١٢ - ٩٣ هـ/ ٧١٢ م) صاحب رسول اللّه (ﷺ) وخادمه؛ روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً. (الزركلي: الأعلام ٢/ ٢٤ - ٢٥).

(٢) لباب الآداب ص٧.

(٣) ويروى أنّ أنساً قال للرسول (ﷺ): وما المبالغة في الغسل؟ قال: أن تبلَّ أصول الشعر وتنقِّي البَشَر.

يا بُنيّ، إذا رَفَعْتَ رأسك من السجود، فَأَسْكِنْ كُلَّ عضوٍ موضِعَهُ، فإنّ الله، عزّ وجلّ، لا ينظرُ يومَ القيامةِ إلى من لا يُقيم صُلْبَهُ في ركوعِهِ.

يا بُنيّ، إذا قَعَدْتَ بَيْنَ السَّجْدَتينِ؛ فأبْسُطْ ظَهْرَيْ قَدَمَيْكَ على الأرْضِ، وضَعْ أَلْيَتَيْكَ على عقِبَيْكَ، فإنَّ ذَلِكَ مِن سُنَّتي، ومَنْ أَحْيا سُنَّتي فَقَدْ أحبّني، ومَنْ أحَبَّني كانَ مَعي في الجَنَّةِ، لا تُقْعِ كما يُقعي الكلْبُ، ولا تَنْقُرْ كما يَنْقُر الدِّيكُ.

يا بُنَيَّ، إذا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ، فلا يَقَعنَّ بَصَرُكَ على أحَدٍ مِنْ أهْلِ ٱلقِبْلَةِ إلاّ سلَّمْتَ عَلَيْهِ، فإنَّكَ تَرْجِعُ وَقَدْ زِيدَ في حَسَناتِكَ.

يا بُنَيَّ، إنِ ٱستَطَعْتَ أنْ تُمسيَ وتُصْبحَ ولَيْسَ في قَلْبِكَ غِشٌّ لأحَدٍ فٱفعَلْ، فإنَّهُ أهْوَنُ عَلَيْكَ في ٱلحِسابِ.

يا بُنَيَّ، إنْ حَفِظْتَ وَصِيَّتي، فلا يكونَنَّ شيءٌ أحَبَّ إليكَ مِنَ الموتِ(١).

★ ★ ★

(١) لباب الآداب ص٧.

الفصل الرابع:

وصيَّته لحرملة بن عبد الله العنبريّ

قال الرسول يوصي حَرْمَلَةَ بن عبداللّه العنْبري[1] وقد طلب منه ذلك:

يا حَرْمَلَةُ، إيتِ ٱلمَعْروفَ، وٱجْتَنِبِ المُنْكَرَ، وٱنظُرْ إلى الذي تُحِبُّ أنْ يَقولَهُ القَوْمُ مِنَ الخَيْرِ إذا قُمْتَ من عِندِهِمْ، فأتِهِ، وٱنْظُرْ إلى ٱلذي تَكْرَهُ أنْ يقولَهُ ٱلقَوْمُ مِنَ الشَّرِّ إذا قُمْتَ من عِندِهِمْ، فٱجْتَنِبْهُ[2].

★ ★ ★

---

(١) هو من أصحاب الرسول (ﷺ)، رحل إليه، وحدّث عنه بهذا الحديث، وقد رواه البخاريّ مع بعض الاختلاف.

(٢) لباب الألباب ص ٥ – ٦.

الفصل الخامس:

وصيَّته لأبي هريرة

قال الرسول لأبي هريرة(١) يوصيه(٢):

يا أبا هُرَيْرَةَ، اتَّقِ المحارمَ تَكُنْ أعْبَدَ النَّاسِ، وارْضَ بما قَسَمَ اللَّهُ لكَ تَكُنْ أغنى النَّاسِ، وأحْسِنْ إلى جارِكَ تَكُنْ مُؤمِناً، وحِبَّ للنَّاس ما تُحِبُّ لنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِماً، وإياكَ وكَثْرَةَ الضَّحِكَ فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُميتُ القَلْبَ.

★ ★ ★

وقال له في وصيَّة أخرى(٣):

يا أبا هريرة، إذا تَوَضَّأتَ فقُلْ: بسم اللّه والحمد للّه، فإنَّ حَفَظَتَكَ لا تزال تكتُبُ لكَ حَتى تَفْرَغ من ذلك الوضوء.

يا أبا هريرة، إذا أكَلْتَ طعاماً دَسْماً فقل: بسم اللّه والحمد للّه، فإنَّ

---

(١) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة (٢١ ق. هـ/٦٠٢ م - ٥٩هـ/ ٦٧٩م) صحابي، كان من أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له. روى عن الرسول (ﷺ) ٥٣٧٤ حديثاً، ونقلها عنه أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي. (الزركلي: الأعلام ٣/٣٠٨).

(٢) لباب الآداب ص ٢٨.

(٣) وصايا ابن عربي ص ١٩١.

حَفَظَتَكَ لا تستريحُ تكتُبُ لَكَ حَسَناتٍ حتى تَنْبُذَهُ عَنْكَ.

يا أبا هريرة، إذا غَشِيتَ أهلَكَ أو ما مَلَكَتْ يَمينُكَ، فقُلْ: بسم اللّه والحمد للّه، فإنَّ حَفَظَتَكَ تكتُبُ لكَ حَسناتٍ حتى تَغْتَسِلَ من الجَنابة، فإذا ٱغْتَسَلْتَ من الجَنابة غُفِرَت لكَ ذنوبُكَ. يا أبا هريرة، فإن كانَ لَكَ وَلَدٌ من تِلك الوَقْعَةِ، كُتِبَ لكَ حَسَناتٌ بِعَدَدِ نَسْلِ ذلك الولدِ وعَقبِهِ حتى لا يبقى منه شيءٌ.

يا أبا هريرة، إذا رَكِبْتَ دابّةً، فَقُلْ: بسم الله والحمدُ للّه، تكتَبْ من العابدينَ حتى تَنْزِلَ عَنْ ظهرها. يا أبا هريرة، إذا رَكِبْتَ السَّفينَةَ، فَقُلْ: بسم اللّه والحمدُ للّه، تُكْتَبْ من العابدينَ حتى تَخْرُجَ منها.

يا أبا هُرَيرة، إذا لبِسْتَ ثَوْباً جديداً، فَقُلْ: بسم اللّه والحمدُ للَّهِ، يكتَبْ لَكَ عَشْرُ حَسَناتٍ بِعَدَدِ كُلِّ سِلْكٍ فيه.

يا أبا هريرة، لا يهابَنَّكَ ما مَلَكَتْ يَمينُكَ، فإنّك إنْ متَّ وأنْتَ كذلك كُنْتَ عند اللّه وَجيهاً. يا أبا هريرة، لا تَهْجُرِ ٱمرأتَكَ إلاّ في بَيْتِها، ولا تَضْرِبْها، ولا تَشتُمها إلاّ في أمرِ دينها، فإنّك إنْ كُنْتَ كذلك مَشَيْتَ في طُرُقاتِ الدُّنيا وأَنْتَ عتيقُ اللَّهِ من النَّارِ.

يا أبا هريرة، احمل الأذى عمَّن هُوَ أكبَرُ مِنْكَ، وأصغَر مِنْكَ، وخيرٌ مِنْكَ، وشرٌّ مِنْكَ، فإنَّكَ إنْ كُنْتَ كذلك باهى اللّه بكَ الملائكَةَ، ومَنْ باهى اللَّهُ به ٱلملائكَةَ جاء يومَ القيامَةِ آمِناً من كُلِّ سوءٍ.

يا أبا هريرة، إنْ كُنْتَ أميراً، أو وزيرَ أميرٍ، أو داخِلاً على أميرٍ، أو مشاوِرَ أميرٍ، فلا تَجاوزَن سيرَتي وسُنَّتي، فإنَّه أَيَّما أميرٍ أو وزيرِ أميرٍ أو داخلٍ على أميرٍ، أو مُشاوِرِ أميرٍ خالَفَ سيرتي وسُنَّتي، جاء يومَ القِيامَةِ تأخُذُهُ النارُ من كُلِّ مكانٍ.

يا أبا هريرة، عَدْلُ ساعةٍ خَيْرٌ من عِبادَةِ ستّين سنةً، قيامُ لَيلِها وصيامُ نهارها. يا أبا هريرة، قل للمؤمنينَ الذين أصابوا الصغائِرَ والكبائِرَ لا يَمُت أحدٌ منهم وهو مُصِرٌّ عليها، فإنَّه من لقي ربَّه عَزَّ وجلَّ على ذلك وهو مُصِرٌّ عليها، فإنّ عقوبتها كَعقوبة مَنْ لَقِيَ اللّه على كبيرةٍ وهُوَ مُصِرٌّ عليها.

يا أبا هريرة، لأنْ تَلْقىٰ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ على كبائِرَ قَدْ تُبتَ منها، خَيرٌ لكَ من أن تَلقاهُ وَقَد تَعَلَّمْتَ آيةً من كِتاب اللَّهِ عزَّ وجَلَّ؛ ثُمَّ لا تنساها. يا أبا هريرة، لا تَلْعَنِ الوُلاةَ، فإنَّ اللَّهَ أَدْخَلَ أُمَّةً جَهَنَّمَ بِلَعْنِهِمْ ولاتَهُمْ. يا أبا هريرة، لا تَسُبَّنَّ شيئاً إلاّ الشيطانَ، فإنَّكَ إنْ مُتَّ وأنْتَ كذلك صافَحَتْكَ جميع رُسُلِ اللَّهِ وأنبياء اللَّهِ تعالى والمؤمنونَ حتى تَعْبُرَ إلى الجنَّةِ. يا أبا هريرة، لا تَسُبَّ مَنْ ظَلَمَكَ تُعْطَ مِنَ الأجْرِ أضعافاً.

يا أبا هريرة، أشبعِ اليتيمَ والأَرْمَلَةَ، وكُنْ لليتيمِ كالأبِ الرَّحيم، وللأرْمَلَةِ كالزَّوجِ ٱلعَطوفِ، تُعْطَ بكُلِّ نَفْسٍ تَنَفَّسَتْ في دارِ الدّنيا قَصْراً في ٱلجَنَّةِ، كُلُّ قَصْرٍ خَيْرٌ من الدُّنيا وما فيها.

يا أبا هريرة، امشِ في ظُلَمِ الليلِ إلى مساجدِ اللّه عزَّ وجَلَّ، تُعطَ حَسناتٍ بِوَزْنِ كُلِّ شيءٍ وَضَعْتَ عليهِ قَدَمَكَ مِمّا تُحِبُّ وتَكرَهُ إلى الأرضِ السَّابِعَةِ السُّفْلى. يا أبا هريرة، لِيكُن مأواك مِمّا تُحِبُّ وتكرَهُ إلى الأرضِ السَّابِعَةِ السُّفْلى. يا أبا هريرة، لِيكُن مأواك المساجِدَ والحجَّ وٱلعُمْرَة وٱلجِهاد في سبيل اللّه، فإنَّكَ إنْ مُتَّ وأنتَ كذلك، كانَ اللَّهُ مؤنِسَكَ في القبر، ويوم القِيامة. وعلى الصِّراط، ويُكَلِّمُكَ في ٱلجَنَّةِ.

يا أبا هريرة، لا تَنْهَرِ الفقيرَ فَتَنْهَرَكَ الملائكةُ يومَ القِيامةِ. يا أبا هريرة، لا تَغْضَبْ إذ قيلَ لكَ ٱتَّقِ اللَّهَ، وإن قد هَمَمْتَ بسيِّئةٍ أَنْ تَعْمَلَهَا

تَكُنْ خطيئَتَك عقوبَتُها النَّارُ. يا أبا هريرة، مَن قيلَ له: ٱتَّقِ اللَّهَ فَغَضِبَ، جيءَ به يومَ القيامة، فيوقفُ مَوْقفاً لا يبقى مَلَكٌ إلاّ مرَّ به فقال له: أَنْتَ الذي قيل له: اتَّقِ اللَّهَ فغَضِبَ؟ فَيَسُوؤُهُ ذلك، فاتَّقِ مَساوِئَ يومِ ٱلقيامَةِ.

يا أبا هريرَةَ، أَحْسِنْ إلى ما خَوَّلَكَ اللّه، فإنَّهُ مَنْ أَساءَ إلى ما خَوَّلَهُ اللَّهُ، فإنَّهُ يَرْصُدُهُ على الصِّراطِ فيتعلَّق به، فكَمْ من مُؤمنٍ يُرَدُّ من الصِّراط للقِصاص.

يا أبا هريرة، على كُلِّ مُسْلِمٍ صلاةٌ في جَوْفِ الليلِ، ولو قدْرُ حَلْبِ شاةٍ، ومَنْ صلَّى في جَوْفِ الليلِ، يريدُ أن يرضيَ ربَّهُ عَزَّ وجَلَّ، رضي اللّه عَنْهُ، وقضى له حاجَتَهُ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

يا أبا هُرَيرةَ، إنِ ٱستَطَعْتَ أَنْ تلقىٰ اللَّهَ خَفِيفَ الظَّهْرِ من دماءِ ٱلمُسْلمين وأموالِهِمْ وأعراضِهِمْ فٱفعَلْ تَكُنْ مِنَ المقرّبينَ، ولا تَتَّخِذنَّ أحداً من خَلْقِ اللَّهِ غَرَضاً، فيجعَلَكَ اللَّهُ غَرَضاً لِشَرَرِ جَهَنَّمَ يومَ القيامَة.

يا أبا هريرة، إذا ذَكَرْتَ جَهَنَّمَ، فٱسَتَجِرْ باللَّهِ منها، وَلْيَبْكِ قَلْبُكَ مِنْها، ونَفْسُكَ، ويقشَعِرّ جِلْدُكَ منها، يُجِرْكَ اللَّهُ منها، يا أبا هريرة، إذا ٱشْتَقْتَ إلى الجَنَّةِ، فاسألِ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَ لك فيها نصيباً ومَقيلاً، ولْيَجِنَّ قَلْبُكَ شَوْقاً إليها، وتَدْمَعْ عَيْناكَ وأنْتَ مؤمِنٌ بها، إذاً يعطيكَها اللَّهُ تعالىٰ ولا يردُّك.

يا أبا هريرَةَ، إن شِئْتَ أن تُفارِقَني يومَ ٱلقيامة حتى تدخُلَ معي ٱلجَنَّةَ أَحْبِبْني حُبّاً لا تَنْساني، وٱعْلَمْ أنَّكَ إنْ أَحْبَبْتَني لم تَتْرُكْ ثلاثةً: الاقتداء بهَدْيي، والشَّوْقَ إليَّ، وكثرَةَ الصلاةِ عليَّ، وٱرضَ بِقَسْمِ اللَّهِ، فإنَّه من خَرَجَ منَ الدُّنيا وهو راضٍ بِقَسْمِ اللَّهِ، خَرَجَ واللَّهُ عَنْه راضٍ، ومَنْ

رضي اللّه عَنْه فمصيرُهُ ٱلجَنَّة.

يا أبا هُرَيرَةَ، مُر بٱلمعروفِ وٱنْهَ عن المنكَرِ. وقال: كيف آمرُ بالمعروفِ وأنهى عنِ المنكَرِ؟ قال: عَلِّمِ الناسَ الخيرَ ولقِّنْهُمْ إيّاهُ، وإذا رأيتَ مَن يعملُ بمَعاصي اللّهِ تعالى لا تَخَفْ سَوْطَهُ وسيفَهُ، فلا يَحِلُّ لَكَ أنْ تُجاوِزَهُ حتى تقول له: اتَّقِ اللّهَ.

يا أبا هريرة، تعلَّمِ القُرآنَ وعَلِّمْه للناس حتى يجيئَك الموتُ وأنتَ كذلك. وإن كُنْتَ كذلك، جاءَتِ الملائِكةُ إلى قبرِكَ، وصَلُّوا عَلَيْكَ، وٱسْتَغْفَروا لَكَ إلى يومِ القيامَة، كما يحجُّ المؤمنونَ إلى بيتِ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ.

يا أبا هريرة، القَ ٱلمُسلمينَ بطلاقَةِ وَجْهِكَ، ومُصافَحَةِ أيديهم بالسلام إنِ ٱستطَعْتَ أَنْ تكونَ كذلك حَيْثُ كُنْتَ، فإنَّ الملائكَةَ مَعَكَ سوى حَفَظَتِكَ يَسْتَغْفِرونَ لَكَ، ويُصَلّونَ عَلَيْكَ، وٱعْلَمْ أنَّه مَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنيا والملائكَة يَسْتَغفرونَ له، غَفَرَ اللّهُ له.

يا أبا هُرَيرة، إنْ أَحبَبْتَ أن يُفْشَى لَكَ الثَّناءُ ٱلحَسَنُ في الدُّنيا والآخِرةِ، كُفَّ لسانَكَ عَنْ غِيبَةِ النَّاسِ، فإنَّه مَنْ لمْ يَغْتَبِ النَّاس نَصَرَهُ اللّهُ في الدُّنيا والآخِرَةِ، أمّا نُصْرَتُه في الدُّنيا، فإنَّه ليْسَ أَحَدٌ يتناولُهُ إلاّ كانَتِ الملائكة تُكذِّبهم عنه، وأمّا نُصْرَتُه في الآخرة، فعَفْو اللّهِ عَن قبيحِ ما صنَعَ، ويُتَقَبَّلُ مِنه أَحْسَنَ ما عَمِلَ.

يا أبا هُرَيرةَ، أُغْدُ في سبيلِ اللّهِ، يَبْسُطِ اللّهُ لَكَ الرِّزْقَ. يا أبا هريرة، صِلْ رَحِمَكَ، يأتِكَ الرِّزْقُ من حَيْثُ لا تَحْتَسِبُ، وٱحجُجِ البيتَ يَغْفِرِ اللّهُ لكَ ذُنوبَكَ التي وافَيْتَ بها ٱلبَلَدَ الحرام.

يا أبا هُريرة، اعتِقِ الرقابَ يَعْتُقِ اللّهُ بِكُلِّ عُضوٍ منه عُضواً مِنْكَ، وفيه أضعافُ ذلك من الدرجاتِ. يا أبا هريرة، أشبع ٱلجائعَ يكُنْ لك مِثْلُ

أجرِ حَسناتِهِ وحَسَناتِ عَقِبِهِ، وليس عليك من سيّئاتهم شَيءٌ.

يا أبا هريرَة، لا تحقِرَنَّ من المعروف شيئاً تَعْمَلُهُ، ولَو أَنْ تُفْرِغَ من دَلْوِكَ في إناء ٱلمُسْتقي، فإنَّهُ من خِصالِ البِرِّ، والبِرُّ كُلُّه عظيم، وصغيره ثوابُه الجنَّة.

يا أبا هريرة، أُؤْمُرْ أَهْلَكَ بالصَّلاةِ، فإنَّ اللَّهَ يأتيكَ بٱلرِّزْقِ من حَيْثُ لا تحتَسِبُ، ولا يكُنْ للشَّيْطانِ في بَيْتِكَ مَدْخَلٌ ولا مسلك.

يا أبا هُرَيْرَةَ، إذا عَطَسَ أخوكَ ٱلمسلِمُ فَشَمِّتْهُ، فإنَّه يُكْتَبُ لَكَ به عِشرونَ حَسَنةً.

يا أبا هُريرة، كُنْ مُسْتَغفِراً للمُسلِمينَ وٱلمُسْلِماتِ، والمؤمنينَ والمؤمناتِ، يكونوا كُلُّهُمْ شُفَعاءَ لَكَ، ويَكُنْ لَكَ مِثلُ أجورِهِمْ من غَيْرِ أنْ ينقُصَ من أجورهم شيء. يا أبا هريرةَ، إنْ كنتَ تريدُ أَنْ تكونَ عند اللَّهِ صَديقاً، فآمِن بجميعِ رُسُلِ اللَّهِ، وأنبياءِ اللَّهِ وكتبهِ.

يا أبا هريرة، إنْ كُنْتَ تريدُ أنْ تُحَرِّمَ على النارِ جَسَدَكَ فَقُل إذا أَصْبَحْتَ وإذا أَمْسَيْتَ: لا إلهَ إلاّ اللّه وحدَه لا شَريكَ له، لا إلهَ إلاّ اللَّهُ لهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ، لا إلهَ إلاّ اللَّهُ واللّه أكبر، لا إله إلاّ اللَّهُ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ باللّه.

يا أبا هريرة، لا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ على مَنْ هُوَ في سَكَرات ٱلموت ولو كانَ نَبيّاً حتى تُلَقِّنَهُ شهادَةَ أن لا إلهَ إلاّ اللَّهُ. يا أبا هريرَة، مَنْ لَقَّنَ مريضاً في سَكَراتِ الموتِ شهادَةَ أن لا إلهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له فقالها، كان لهُ مِثْلُ جميعِ حسناتِه، فإنْ لمْ يَقُلْها فَلَهُ عِتْقُ رَقَبَةٍ بقوله لا إله إلاّ اللّه. يا أبا هريرة، لقِّنِ الموتى شهادَةَ أن لا إلهَ إلاّ اللّه، رَبِّ ٱغْفِرْ لي، فإنَّها تهدِمُ الذُّنوبَ هَدْماً.

يا أبا هريرة، إنِ ٱستَطَعْتَ أن لا تُمطِرُ السماءُ مَطَراً إلاّ صَلَّيْتَ عِندَهُ رَكْعَتَيْنِ، فإنَّكَ تُعطى حَسناتٍ بِعَدَدِ كُلِّ قطرَةٍ نَزَلَتْ تلك الساعة، وعدد كُلِّ وَرَقَةٍ أُنْبِتَتْ من ذلك المطر. يا أبا هريرة، تَصَدَّق بالماء، فإنَّه لا يتوضأ أحَدٌ إلاّ كان لكَ مِثلُ حَسناتِه من غير أنْ ينْقُصَ من حَسناته شيء. يا أبا هريرة، أما عَلِمْتَ أَنَّ رَجُلاً غُفِرَ له ٱحتَشَّ حَشيشاً، فجاءَت بهيمةٌ فأكلَتْه.

يا أبا هريرة، قُل للناسِ حَسناً تُفلِحْ يومَ القيامَة. يا أبا هريرة، عُدْ على المسكين كافراً كانَ أو مُسْلِماً، فإنَّكَ إنْ عُدْتَ على ٱلمسكين الكافِرِ رَحِمَكَ اللَّهُ، وأمَّا ثوابُكَ إنْ عُدْتَ على المسكين ٱلمُسْلم، فلا أُحْسِن صفته.

يا أبا هريرة، إنْ كُنْتَ في مالِ أبيكَ أو أُمِّكَ أو وَلَدِكَ، فلا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَتصدَّقَ مِنه إلاّ بإذنه. يا أبا هريرة، لا يحِلُّ لَكَ من مالِ ٱمرأتِك شيءٌ إلا شيء تُعطيكَ من غَيْرِ أنْ تسألها، وذلك هو قول اللّه تعالى: ﴿فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شيءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلوهُ هَنيئاً مَريئاً﴾[1]. يا أبا هريرة، قُل للنساء، لا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَتَصدَّقْنَ من بُيوتِ أزواجِهِنَّ شَيْئاً إلاّ بِكُلِّ رَطْبٍ يَخَفْنَ فَساده إذا كان غائِباً. يا أبا هريرة، عَلِّم الناسَ سُنَّتي يكُنْ لَكَ النُّورُ السَّاطِعُ يومَ القيامَةِ، يَغْبِطُكَ به الأوّلونَ والآخِرونَ.

يا أبا هريرة، كُنْ مُؤذِّناً وإماماً، فإنَّكَ إذا رَفَعْتَ صَوْتَكَ بالأذانِ يَرْفَعُ اللَّهُ صَوْتكَ حتى يَبْلُغَ العَرْشَ، فلا يَمُرّ صَوْتُكَ على شيءٍ إلاّ كانَ لَكَ بِعَدَدِه عَشْرُ حَسَناتٍ، ولكَ إذا كُنْتَ إماماً بِعَدَدِ مَنْ صلَّى خَلْفَكَ، ولك مِثْلُ صلاتِهِمْ، لا يَنْقُصُ من صلاتِهِمْ شيءٌ، إلاّ أن تكونَ إماماً خائِناً.

---

(١) سورة النساء، الآية ٤.

يا أبا هريرَة، لا تَضْرِبَنَّ في أَدَبٍ فَوْقَ ثلاثٍ، فإنَّك إنْ زِدْتَ فهي قصاصُ يومِ القيامَةِ. يا أبا هريرَةَ، أَدِّبْ صِغارَ أهْلِ بيتِكَ بلسانِكَ على الصَّلاةِ والطَّهورِ، فإذا بَلَغوا عَشْرَ سنين فأضرِبْ ولا تجاوزْ ثلاثاً.

يا أبا هريرة، عليك بأبن السَّبيل فَقدِّمْهُ إلى أهلك، أو إلى أهلِه، تشيِّعُكَ الملائِكةُ إلى الصِّراط. يا أبا هرَيْرَةَ، جالِسِ الفُقَراءَ، فإنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ لا تبعُدُ عَنْهُمْ طَرْفَةَ عينٍ. يا أبا هرَيْرَةَ، جالِسِ الفُقَراءَ، فإنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ لا تبعُدُ عَنْهُمْ طَرْفَةَ عينٍ. يا أبا هريرة، لا تُؤذِ ٱلمُسْلمينَ في طَريقهم، فإنَّه مَنْ آذى المُسْلمينَ في طريقهم ذمَّه المسلمون والملائكة جميعاً. يا أبا هريرة، إذا مَرَرْتَ على أذىً في الطَّريق فغَطِّهِ بالتُّرابِ، يَسْتُرِ اللَّهُ عَلَيْكَ يومَ القِيامَةِ.

يا أبا هريرةَ، إذا أرشَدْتَ أعمى فَخُذْ يدَهُ اليسرى بيدِكَ اليمنى فإنَّها صَدَقَةٌ. يا أبا هريرة، من مَشى مع أعمى مِيلاً يُسَدِّدُه، كانَ له بِكُلِّ ذِراعٍ مِنَ الميلِ عَشْرُ حَسَناتٍ. يا أبا هريرة، أَسْمعِ الأَصَمَّ الذي يسألكَ عَنْ خَيْرٍ، يُسْمِعْكَ اللَّهُ ما يَسُرُّكَ يومَ القِيامَةِ. يا أبا هُريرةَ، أَرْشِدِ الضالَّ تُرْشِدْكَ الملائِكَةُ إلى أَحْسَنِ المواقِف يومَ القيامَةِ، لا تُرشدِ اليهوديَّ إلى بيْعَتهِ، ولا النّصرانيَّ إلى كنيسته، ولا الصّابىءَ إلى صَوْمَعَتِه، ولا المجوسيَّ إلى بيتِ نارِهِ، ولا ٱلمُشْرِكَ إلى بَيْتِ وَثَنه، إذاً تُكتَبُ عَلَيْكَ مِثْلُ خَطاياه.

يا أبا هرَيْرَة، لا تُرْشِدْ أَحَداً إلى غيرِ حدودِ اللَّهِ فَيَعْمَلَ به، إذاً يكونُ عليكَ مِثْلُ ذَنْبِهِ.

يا أبا هريرة، أرشِدْ عبادَ اللَّهِ إلى مساجِدِ اللَّهِ، وإلى البَلَدِ الحرامِ، وإلى قبري، يكن لَكَ مثلُ أجورِهم، ولا تُنقص من أجورِهِمْ شيئاً. يا

أبا هريرة، أبلغ النِّساء أنه ليس عَلَيْهِنَّ زيارَة قبري، ولكن عليهن حجّ بيت اللّه الحرام إذا كان مَعَهُنَّ مَحْرَم، وإلاّ فلا.

يا أبا هريرة، إنِ ٱسْتَطَعْتَ أن لا يكونَ لأَحَدٍ من الظالمين عَلَيْكَ يَدٌ أو لِسانٌ، فإني أُحِبّ لَكَ ذلك. يا أبا هريرة، لا يَكُنْ أمير من أمرائِكَ إلاّ أميرٌ يعدِلُ مثل ما تعدِلُ أنْتَ، فإنْ عَدَلْتَ أَنْتَ، وجارَ هُوَ كنْتَ أَنْتَ شريكهُ، في الإثمِ، ولم تكن شريكه في الأجرِ.

يا أبا هريرة، إنْ كان لَكَ مال وجَبَتْ عليه زكاة مُزَكّهِ، فإنْ أصابَتْه آفَةٌ وقَدْ زكَّيْتَهُ مرَّة واحدة، فهِيَ مُجزئَةٌ إلى يوم القِيامة.

يا أبا هريرة، إذا لَقِيْتَ ٱليهودِيَّ والنصرانيَّ، فلا تُصافِحْهُ وأنْتَ على وضوء، فإنْ فَعَلْتَ فأعِد الوُضوءَ. يا أبا هريرة، لا تُكَني اليهوديَّ، ولا النَّصرانيَّ، ولا المجوسِيَّ، ولكن سَمِّه باسمه، فإنّكَ واللَّهِ تُذِلّه بذلك، ولا يَحِلّ لَكَ أن تكره إنّما لَهُمْ من ٱلعَهْدِ والذِّمَّةِ أَنْ لا يؤخَذَ أموالُهُمْ إلاّ بطيبِ أنفُسِهِمْ، ولا تَدْخُل بيوتهم إلاّ بإذنِهِمْ، ولا تَحُلْ بينهُمْ وبَيْنَ أطفالِهِمْ، ولا يُخانون في نسائِهِمْ، فبذلك آمُرُكَ، ولتعرفِ المِلَّةَ، يا أبا هُرَيرة، إذا خَلَوتَ بيهوديّ أو نَصراني، أو مجوسيّ، فلا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُفارِقَه حتى تَدْعُوَه إلى الإسلامِ. يا أبا هريرة، لا تُجادِلَنَّ أحداً مِنْهُمْ، فعسى أنْ يأتِيَكَ بشيءٍ منَ التنزيلِ فَتُكَذِّبَهُ، أو تجيء بشيء فَيُكَذِّبَكَ، بل لا يكون من حَديثك إلاّ أن تدعُوَهُ إلى الإسلام، وهو قول اللّه تعالى: ﴿وجادِلْهُمْ بالتي هي أَحْسَنُ﴾(١).

يا أبا هريرة، صلِّ إماماً كُنْتَ أو غيرَ إمامٍ في ثَوْبٍ واحدٍ إنْ كان صفيقاً. يا أبا هريرة، أتريدُ أَنْ يكونَ أجرُكَ كأجرِ شهداءِ أهلِ بَدْرٍ؟

---

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

فانظُرْ رَجُلاً مُسْلِماً ليسَ له ثوب يجمِّعُ فيه يوم ٱلجُمُعةِ، فأعِرْهُ ثَوْبَكَ أو هَبْهُ له.

يا أبا هُرَيْرَةَ، أتريد أنْ تَسْمَعَ حَسيسَ النارِ، ولا يَقَعَ بك شَرَرُها فأغِثْ مَنِ ٱستَغاث بك، حريقٌ كانَ، لِصٌّ كانَ، سَيْلٌ كانَ، غريقٌ كانَ، هَدْمٌ كانَ. يا أبا هريرة، نَفِّسْ عَنِ المكروبينَ وٱلمَغْمورينَ تَخْرُجْ من غَمٍّ يومِ القيامة.

يا أبا هريرةَ، امشِ إلى غَريمِكَ بِحَقِّه تُشَيِّعْكَ الملائِكَةُ بٱلصلاةِ عَلَيْكَ. يا أبا هريرة، مَنْ عَلِمَ اللّٰهُ مِنْهُ أنّه يريدُ قضاءَ دَيْنِهِ رَزَقَهُ اللّٰهُ من حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ، وهيّأ له قَضاء دَيْنِهِ في حياته أو بَعْدَ مَوْته.

يا أبا هريرة، مَنْ أصابَ مالاً حَلالاً، وأدّى زكاتَهُ ثُمَّ ورَّثَه عَقِبَهُ، فَكُلُّ ما يَصْنَعُ فيه وَرَثَته من الحَسَناتِ، فله مِثْل ذلك من غَيْرِ أَنْ يَنْقُص من أُجورِهِمْ.

يا أبا هريرة، مَنْ قَذفَ مُحْصَناً أو مُحْصَنَةً، حُبِسَ يومَ القيامَةِ في وادي خبالٍ هناك حتى يخرجَ أو يجيء ببيانِ ما قالَهُ.

يا أبا هريرة، مَن ماتَ وعليه دينٌ، وتَرَكَ وفاءَ ذلك فَجَحَدهُ وَرَثَتُهُ وليسَ لهُمْ عليه بيِّنَةٌ، ولم يعلمِ اللّٰهُ منه أنّه يريدُ قضاءَهُ، فهو قِصاصٌ من حَسناته يومَ القِيامَةِ.

يا أبا هريرة، المقتولُ في سبيلِ اللّه يَغْفِرُ له جميعَ ذنوبه إلاّ دَيْناً أو قَذْفَ مُحْصَنَةٍ أو مُحْصَنٍ. يا أبا هريرة، كُلُّ ذَنْبٍ غَمٌّ يومَ القيامَةِ، فَرُبَّ ذَنْبٍ لهُ ثاراتٍ، ولا ذَنْبَ على المسلمِ أطولُ ثاراتٍ من مَظلَمَةِ الدَّمِ، أو مالٍ، أو عِرْضٍ. يا أبا هريرة، مَنْ أصابَ شيئاً من ذلك فتابَ إلى اللّهِ عَزَّ وجلَّ قبل موته، وٱستكانَ وتَضَرَّع، وليسَ عِنْدَهُ أداءُ تِلْكَ المَظْلَمَةِ،

فإنَّ على اللّهِ أَنْ يُرضيَ خُصَماءَهُ يوْمَ القيامَةِ من عندِه بما شاءَ.

يا أبا هريرَة، إنْ ظَلمَكَ إنسانٌ فلا تَشْكُهُ، ولا تُسَمِّعْ به النَّاسَ، وتعرِّفْهُم حالَتَهُ، تَكُنْ أَنْتَ وَهُوَ سواء. يا أبا هريرة، مَن عَفا عَنْ مَظْلَمَةٍ صغيرةٍ أو كبيرةٍ، فأجرُهُ على اللّهِ، ومَنْ كانَ أجرُهُ على اللّهِ فَهُوَ من المُقَرَّبينَ الذينَ يدخلونَ الجنَّةَ مُدْخَلاً. يا أبا هريرة، لا تُرَوِّعْ أحداً من خَلْقِ اللّهِ عزَّ وجَلَّ، فَتُرَوِّعَكَ ملائِكَةُ اللّهِ في الآخِرَةِ يومَ القِيامَةِ.

يا أبا هريرة، أتريدُ أَنْ تكونَ علَيْكَ رَحْمَةُ اللّهِ حَيّاً ومَيِّتاً ومقبوراً ومَبْعوثاً؟ فَقُمْ بالليلِ، وصَلِّ وأنْتَ تريدُ به رِضا ربِّكَ ثُمَّ مُرْ أَهْلَكَ يُصَلُّونَ، إذا فَرَغُوا يوقِظونَكَ، فإنَّه إذا مرَّ عَلَيْكَ من الليلِ ثلاث ساعات، ومن النَّهارِ ثلاث ساعات، وفي بَيْتِكَ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ أَعْطاكَ اللّهُ مِثْلَ ذلك. يا أبا هريرة، صَلِّ في زوايا بيْتِكَ جميعاً، يكُنْ نورُ بَيْتِكَ جميعاً في السَّماء كَنورِ الكواكِبِ في السماء عند أَهْلِ الدُّنيا.

يا أبا هريرَة، احمِلْ غذاءَكَ وعشاءَكَ إلى أقارِبِكَ المحتاجين، يكُنْ لَكَ في كُلِّ خَيْرٍ يَقْسِمُهُ اللّهُ بَيْنَ أَوليائه، وأحِبّائهِ في الدُّنيا والآخِرَة سَهْمٌ وافِر.

يا أبا هريرة، ارحَمْ جميعَ خَلْقِ اللّهِ، يَرْحَمْكَ اللّهُ مِنَ النَّارِ يومَ القِيامةِ.

يا أبا هريرةَ، إذا نَزَلَتْ بكَ مُصيبةٌ، فأَرْضَ بما أعطاكَ اللّهُ، ولْيَعْلَمِ اللّهُ مِنْكَ أَنَّ ثَوابَ المُصيبَةِ أَحَبّ إليْكَ من عَدَمِ المُصيبَةِ، يُعْطِكَ اللّهُ الصلاة والرَّحْمَةَ وٱلهُدَى.

يا أبا هريرة، عَزِّ ٱلحَزينَ كما تُحِبّ أَنْ تُعَزَّى، وٱذكرْ ثوابَ ما أعدَّ اللّه على المُصيبَةِ، تُعْطَ بِكُلِّ خُطوَةٍ عِتْقُ رَقَبَةٍ.

يا أبا هريرة، إذا مَرَرْتَ بجَمْعِ نساءٍ فلا تُسَلِّمْ عَلَيْهِنَّ، فإنْ بدأنَكَ بالسَّلامِ فارْدُدْ عَلَيْهِنَّ. يا أبا هريرَة، إذا سَلَّمَ المُسْلِمُ على المُسْلِمِ فَرَدَّ عليه صَلَّت عليْه الملائكةُ سبعينَ مرَّةً. يا أبا هريرةَ، الملائكَةُ تتعجَّبُ من المُسْلِمِ يلقى المسلِمَ فلا يُسلِّمْ عليه. يا أبا هريرةَ، تَعوَّدِ التَّسْليمَ، فإنَّه خَصلةٌ من خِصال الجَنَّةِ.

يا أبا هريرة، أَصْبِحْ وأَمْسِ ولسانُكَ رَطْبٌ من ذكرِ اللَّهِ، تُصْبِحْ وتُمْسِ وليسَ عَلَيْكَ خطيئةٌ. يا أبا هرَيْرَةَ، إنَّ الحَسَناتِ يُذهِبْنَ السَّيِّئاتِ كما يُذهِبُ الماءُ ٱلوَسَخ.

يا أبا هريرة، استُرْ عَوْرَةَ أَخيكَ، يكُنِ اللّهُ لَكَ ناصِراً. يا أبا هريرة، أُنْصُرْ أخاك، وٱسْتُرْ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُرفَعَ إلى السُّلطانِ في حَدٍّ من حدود اللّه، فإنْ رُفِعَ إلى السُّلطانِ، فإياكَ أَنْ تُباشِرَ لَهُ بِنَفْسِكَ ومالِكَ، فإنَّه مَنْ مالَتْ شَفاعَتُه دُونَ حَدٍّ من حدودِ اللَّهِ فَهُوَ كذا وكذا.

★ ★ ★

الفصل السادس:

وصيّته للإمام عليّ بن أبي طالب

قال الرسول ﷺ للإمام علي بن أبي طالب[1] يوصيه[2]:

يا عليّ، أوصيْكَ بوَصِيَّةٍ فاْحْفَظْها، فإنَّك لا تزالُ بِخَيْرٍ ما حَفِظْتَ وصِيَّتي.

يا عليّ، إنَّ للمؤمنِ ثلاث عَلاماتٍ: الصَّلاةُ، والصِّيامُ، والزَّكاةُ، وللمُتَكَلِّفِ ثَلاثُ علاماتٍ: يَتَمَلَّقُ[3] إذا شَهِدَ، ويَغْتابُ إذا غاب، ويَشْمَتُ بٱلمُصيبةِ، وللظّالِمِ ثلاثُ عَلاماتٍ: يَقْهَرُ مَنْ دونه بٱلغَلَبَةِ، ومَنْ فَوْقَه بٱلمَعْصِيَة، ويُظاهِرُ الظَّلَمَةَ[4]، وللمُرائي ثلاثُ علاماتٍ: يَنْشَطُ إذا كان عِنْدَ النَّاسِ، ويَفْتَرُ إذا كانَ وَحدَه، ويُحِبّ أنْ يُحْمَدَ في جَميعِ الأمورِ، ولِلْمنافِقِ ثَلاثُ عَلاماتٍ: إنْ حَدّثَ كَذَبَ، وإنْ وَعَدَ أخْلَفَ، وإنِ اْئْتُمِنَ خانَ.

يا عليُّ، وللكَسْلانِ ثَلاثُ علاماتٍ: يَتَوانىٰ حَتّىٰ يُفَرِّطَ، ويُفَرِّطُ حتىٰ يُضيِّعَ، ويضيّع حتىٰ يأثَمَ، ولَيْسَ ينبغي للعاقل أنْ يكونَ شاخِصاً إلاّ في

---

(١) سترد ترجمته مفصّلة في الباب الخامس من كتابنا هذا.
(٢) وصايا ابن عربي ص١٧١ - ١٨١.
(٣) يتملّق: يتودّد بكلام لا يعكس ما في القلب.
(٤) أي: يعاونهم.

ثلاث: مُرِمَّة[1] لمعاشٍ، أو لَذَّةٍ في غَيْرِ مُحْرِمٍ، أو خُطْوَةٍ لمعادٍ.

يا عَلِيُّ، إنَّ مِنَ ٱليقينِ أنْ لا تُرضي أحَداً بِسُخْطِ اللهِ، ولا تَحمَدَنَّ أحَداً علىٰ ما آتاكَ اللهُ، ولا تَذُمَّنَّ أحَداً علىٰ ما لَمْ يُؤتِكَهُ اللهُ، فإنَّ الرِّزْقَ لا يَجُرُّهُ حِرصُ حَريصٍ، ولا يَصْرِفُهُ كَراهِيَّةُ كارِهٍ، وإنَّ الله سُبحانَهُ وتعالىٰ جَعَلَ الرُّوحَ والفَرَجَ في ٱليَقينِ والرِّضا بِقَسْمِ الله، وجَعَلَ الهَمَّ وٱلحُزْنَ في السُّخْطِ بِقَسْمِ اللهِ.

يا عَلِيّ، لا فَقْرَ أشَدُّ منَ ٱلجَهْلِ، ولا مالَ أعْوَزُ مِنَ العَقْلِ، ولا وَحْدَةَ أوحشُ مِنَ ٱلعُجْبِ، ولا مُظاهَرَةَ أوثَقُ منَ ٱلمشاوَرَةِ، ولا إيمانُ كاليَقينِ، ولا وَرَعَ كالكَفِّ، ولا حَسَبَ كَحُسْنِ ٱلخُلُقِ، ولا عِبادَةَ كالتفكُّرِ.

يا عَلِيّ، إنَّ لِكُلِّ شيءٍ آفَةً، وآفةُ الحَديثِ الكَذِبُ، وآفةُ العِلْمِ النِّسْيانُ، وآفَةُ ٱلعِبادَةِ الرِّياءُ، وآفةُ الظَّرْفِ الصَّلَفُ، وآفةُ الشَّجاعَةِ ٱلبَغْيُ، وآفةُ السَّماحَةِ ٱلمنُّ، وآفةُ الجمالِ الخُيَلاءُ، وآفةُ الحَسَبِ الفَخْرُ، وآفةُ الحَياءِ الضَّعْفُ، وآفةُ الكَرَمِ الفَخْرُ، وآفةُ الفَضْلِ ٱلبُخْلُ، وآفةُ الجُودِ السَّرَفُ، وآفةُ العِبادَة الكِبْرُ، وآفةُ الدِّين ٱلهَوَىٰ.

يا عليُّ، إذا أُثْنيَ عَلَيْكَ في وَجْهِكَ فَقُلْ: اللهمَّ ٱجْعَلْني خَيْراً مما يقولونَ، وٱغْفِرْ لي ما لا يَعْلَمونَ، ولا تُؤاخِذْني فيما يقولونَ، تَسْلَمْ مِمّا يَقولونَ.

يا عليّ، إذا أَمْسَيْتَ صائِماً فَقُلْ عِنْدَ إفطارِكَ: اللهُمَّ لَكَ صُمْتَ وعَلىٰ رِزقِكَ أَفْطَرْتُ، يُكْتَبْ لَكَ أَجْرُ مَنْ صامَ ذلك اليومَ من غَيْرِ أَنْ

---

(١) المرمّة: كلّ ما يكفي الإنسان مؤونة السؤال.

ينْقُصَ مِن أُجورِهِمْ شيءٌ، وٱعْلَمْ أنَّ لِكُلِّ صائمٍ دَعْوَةً مُستَجابَةً، فإنْ كان عِنْدَ أوَّلَ لُقْمَةٍ يقول: بسمِ الله الرحمن الرحيم، يا واسِعَ ٱلمَغْفِرَةِ ٱغْفِرْ لي، فإنّه مَن قالَها عِنْد فِطرِه غُفِرَ له، وٱعْلَمْ أنَّ الصَّوْمَ جُنَّةٌ[1] مِنَ النّارِ.

يا عليُّ، لا تَستقْبِل الشَّمْسَ وٱلقَمَرَ وٱستَدْبِرْهُما، فإنّ ٱستِقْبالَهُما داءٌ واستِدْبارَهُما دواءٌ. يا عَلِيُّ، ٱسْتَكْثِرْ مِن قراءَةِ يَس، فإنَّ في قِراءَة يَس عَشْرَ بَرَكاتٍ، ما قَرَأها قَطّ جائعٌ إلاّ شَبعَ، ولا قرأها ظَمآن إلاّ رُوِيَ، ولا عارٍ إلاّ ٱكْتُسِيَ، ولا مَريضٌ إلاّ بَرِىءَ، ولا خائِفٌ إلاّ أمِنَ، ولا مَسْجونٌ إلاّ ٱنفَرَجَ، ولا أعزَبُ إلاّ تَزَوَّجَ، ولا مسافِرٌ إلاّ أُعِينَ علىٰ سَفَرِهِ، ولا قَرأها أَحَدٌ ضَلَّتْ له ضالَّةٌ إلاّ وَجدها، ولا قرأها علىٰ رأس مَيِّت حَضر أجلُهُ إلاّ خُفِّفَ عليْهِ، ومَنْ قرأها صباحاً كانَ في أمانٍ إلىٰ أنْ يُمْسِيَ، ومَن قرأها مساءً كانَ في أمانٍ حتىٰ يُصبِحَ.

يا عليُّ، اقرأ (حَم الدخان) في ليلةِ الجُمعة تُصبحْ مَغفوراً لكَ. يا علي)، إقرأ آيَةَ الكُرسي دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ تُعْطَ قُلوبَ الشّاكِرينَ، وثَوابَ الأنْبياءِ، وأعمالَ الأبرار. يا عليُّ، اقرأ سورَةَ ٱلحَشْرِ تُحْشَرْ يومَ القِيامَة آمناً من كُلِّ شرٍّ. يا عَلِيُّ، اقرأ (تَبارَكَ والسَّجْدَة) يُنْجِيانِكَ من أهوالِ يوم ٱلقيامَة. يا عَلِيُّ، اقرأ (تبارك) عِنْد النوم تَدْفَعْ عَنْكَ عَذابَ ٱلقَبْرِ ومَسْألَةَ مُنْكَرٍ ونكير[2]. يا عليُّ، اقرأ (قُلْ هو اللهُ أحد) علىٰ وُضوءٍ تُنادَ يومَ ٱلقِيامَةِ: يا مادِحَ اللهِ قُمْ فٱدْخُلِ الجَنَّةِ. يا عليُّ، اقرأ سورة (البقرة) فإنَّ قِراءَتها بَرَكَةٌ، وتركها حَسْرَةٌ، وهي لا تطيقُها ٱلبَطَلَة[3].

---

(١) جُنَّة: درْع، وقاية.
(٢) هما ملكا القبر.
(٣) البطلة: السَّحَرة.

يا عليُّ، لا تُطلِ ٱلقُعودَ في الشَّمْسِ، فإنَّها تُثيرُ الدَّاءَ الدَّفينَ، وتُبلي الثِّيابَ، وتُغيِّرُ اللونَ. يا عَلِيُّ، أمانٌ لَكَ مِنَ الخَوف أن تقول: «سُبْحانَكَ ربِّي لا إلهَ إلاّ أَنْتَ، عليك توكَّلْتُ وأنتَ ربُّ العَرْشِ العظيمِ». يا عليُّ، أمانٌ لكَ مِنَ الوَسْواسِ أنْ تَقْرأَ: ﴿وإذا قَرأتَ القُرآنَ جَعَلنا بَيْنَكَ وبَيْنَ ٱلذينَ لا يُؤمِنون بالآخِرَة حِجاباً مستوراً﴾[1] إلىٰ قوله: ﴿ولَوا علىٰ أدبارِهِمْ نُفوراً﴾ يا عليّ. أمانٌ لَكَ من شرِّ كُلِّ عائِنٍ[2] أنْ تقول: «ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لَمْ يشأ لَمْ يَكُنْ، أَشْهَدُ أنَّ اللهَ علىٰ كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّ اللهَ قد أحاط بكلِّ شيءٍ عِلماً، وأحصىٰ كُلَّ شيءٍ عَدَداً، ولا حَوْلَ ولا قُوَّة إلاّ بالله».

يا عليُّ، كُلِ الزَّيْتَ وٱدَّهِنْ بالزَّيْتِ، فإنَّهُ مَنْ أَكَلَ الزَّيْتَ، وٱدَّهَنَ بالزَّيْتِ لَمْ يَقْرَبْهُ الشَّيطانُ أربعينَ صباحاً. يا عليُّ، ابدأ بالمِلْحِ، وٱختُمْ بالمِلْحِ، فإنَّ المِلْحَ شِفاءٌ من سَبْعين داءً، منها ٱلجنون، والجذامُ، وٱلبَرَص، ووَجَعُ الحَلْقِ، ووَجَعُ الأضراسِ، ووَجَعُ البَطْنِ. يا عليّ، إذا أَكَلْتَ فَقُلْ: بسم الله، وإذا فَرَغْتَ فَقُلْ: الحمدُ لله. فإنَّ حافِظَيْكَ لا يَسْتَريحانِ يَكْتُبان لَكَ الحَسَنات حتىٰ تَنبذَهُ عَنْكَ.

يا عليُّ، إذا رأيْتَ الهِلالَ في أوَّلَ الشَّهْرِ فَقُلْ: «الله أكبر ثلاثاً، والحمدُ لله الذي خَلَقَني وخَلَقَكَ وقَدَّرَكَ منازِلَ وَجَعَلَكَ آيةً للعالمين» يُباهي اللهُ بكَ الملائِكَةَ يقولُ: يا مَلائِكَتي ٱشهَدوا أني قد أَعْتَقْتُ هذا ٱلعَبْدَ مِنَ النارِ. يا عليُّ، إذا نَظَرْتَ في المرآةِ فَقُلْ: «اللهمَّ كما حَسَّنْتَ خَلْقي فَحَسِّنْ خُلُقي وٱرزُقْني». يا عليُّ، وإذا رأيتَ أَسَداً واشتدَّ بكَ

---

(١) الإسراء، الآية ٤٥.

(٢) العائن: الذي يُصيب بالعين، أي يوقع الضَّرَر بالآخرين عن طريق عينه.

الأمْرُ فكَبِّرْ ثَلاثاً وقُلْ: «اللهُ أكبر وأجَلّ وأعَزُّ مِمّا أخافُ وأحذر، اللهُمَّ إني أدْرَأُ بكَ في نَحْرِهِ، وأعوذُ بكَ من شَرِّهِ»، فإنَّك تُكفىٰ بإذنِ اللهِ، وإذا رأيتَ كلباً يهِرُّ فَقُلْ: ﴿يا معشَرَ ٱلجِنِّ والإنْس إنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنفُذوا مِنْ أقطارِ السَّماواتِ والأرضِ فٱنْفُذوا لا تَنْفُذون إلاّ بِسُلطانٍ﴾[1].

يا عَليُّ، إذا خَرَجْتَ من مَنْزِلِك تريدُ حاجَةً فٱقرأ آية الكُرسي، فإنّ حاجَتَكَ تُقضَىٰ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ. يا عليُّ، إذا توضأتَ فَقُل: «بسمِ الله والصَّلاةُ علىٰ رسولِ الله». يا عليّ، صَلِّ مِنَ الليلِ ولَوْ قَدْرَ حَلْبِ شاةٍ، وٱدْعُ اللهَ سُبْحانَهُ بأسْحارٍ، لا تُرَدُّ دَعْوَتُكَ، فإنّ اللهَ سبحانَهُ يقول: ﴿والمُسْتَغفِرينَ بالأسحار﴾[2].

يا عليُّ، غَسِّلِ ٱلموتىٰ، فإنَّهُ مَنْ غَسَّل مَيّتاً غُفِرَ لَهُ سَبْعونَ مَغْفِرَةً، لو قُسِّمَتْ مَغْفِرَةٌ مِنْها علىٰ جميع ٱلخَلْقِ لَوَسِعَتْهُمْ.

يا عليُّ، لا تخرُجْ في سَفَرٍ وحْدَكَ، فإنَّ الشيْطانَ مَعَ الواحدِ، وهُوَ مِنَ الاثنين أبعَدُ. يا عَلِيُّ، إنَّ الرَّجُلَ إذا سافَرَ وَحْدَهُ غاوٍ، والاثنانِ غاويانِ، والثَّلاثةُ نَفَرٌ. يا عليُّ، إذا سافَرْتَ فلا تنزلِ الأوْدِيةَ، فإنّها مأوىٰ السِّباع وٱلحيّاتِ. يا عليّ، لا تَرْدِفَنَّ ثلاثةً علىٰ دابّةٍ، فإنَّ أحدَهُمْ مَلْعونٌ، وهُوَ المقدَّمُ.

يا عليُّ، إذا وُلِدَ لَكَ مولودٌ، غلام أو جارية، فأذِّنْ في أُذُنه اليمنىٰ وأقم[3] في أُذُنِه ٱليُسرىٰ، فإنّه لا يَضُرّه الشَّيطان أبداً. يا عليُّ، لا تأتِ أهلك ليلةَ الهِلالِ، ولا ليلة النِّصفِ، فإنّه يتخوف علىٰ ولدك الخَبَل[4].

---

(١) سورة الرحمن، الآية ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٧.

(٣) أي: أقيم الصلاة.

(٤) الخَبَل: ضعف العقل والجنون.

يا عليُّ، وإذا نَزَلَتْ بك شدَّةٌ، فَقُلْ: «اللهمّ إنّي أسألك بِحَقِّ مُحمّد وآل محمد عليك أن تُنَجيني»، وإذا أردتَ الدخولَ إلى مدينة أو قريةٍ فَقُلْ حينَ تُعاينُها: «اللهمّ إنّي أسألكَ خَيْرَ هذه المدينة وخير ما كَتَبْتَ فيها، وأعوذُ بك من شَرِّها ومن شَرِّ ما كتبت فيها، اللهُمَّ ٱرزقني خَيْرها، وأعِذني من شرِّها، وحَبِّبْنا إلى أهلها، وحَبِّبْ صالحي أهْلِها إلينا»، يا عليُّ، إذا نَزَلْتَ مَنْزِلاً فَقُلْ: «اللهُمَّ أَنْزلنا مَنْزِلاً مُبارَكاً وأنت خيرُ ٱلمُنْزِلينَ» تُرزَقْ خَيْره، ويُدْفَعْ عنك شَرُّه.

يا عليُّ، وإياكَ وٱلمِراءَ، فإنّه لا تُعْقَلُ حِكْمَتُهُ، ولا تُؤمَنُ فِتنَتُهُ. يا عليُّ، وإياكَ والدُّخول إلىٰ الحَمّام بلا مِئزرٍ، فإنَّه مَلعونُ الناظِرِ وٱلمنظورُ إليه. يا عليُّ، لا تَتَخَتَّم بالسَّبابة والوسطى، فإنَّه من فعلِ قومِ لوط. يا عليُّ، لا تَلْبَسِ ٱلمُعَصْفَرَ[1]، ولا تَبِتْ في مَلْحَفَةٍ حَمراءَ، فإنها مُحْتَضَرَةُ الشَّيطانِ. يا عليُّ، لا تقرأ وأنْتَ راكعٌ ولا ساجِد.

يا عليُّ، إياكَ والمجادَلَة، فإنَّها تُحْبِطُ الأعمالَ. يا عليّ، لا تَنْهَرِ السائِلَ ولو جاءَكَ علىٰ فَرَسٍ، وأعطِهِ، فإنّ الصَّدَقَةَ تقع بيَدِ اللهِ قَبْلَ أن تقع بيد السائل. يا عليُّ، باكِر بالصَّدَقةِ فإنَّ البلاءَ لا يَتَخَطَّىٰ الصَّدَقة.

يا عليُّ، عليكَ بحُسْنِ الخُلُقِ، فإنَّكَ تُدْرِكُ بذلك دَرَجَةَ الصائم القائم. يا عليُّ، إياكَ والغَضَبَ، فإنّ الشيطان أقدَرُ ما يكون علىٰ ٱبن آدَمَ إذا غَضِبَ. يا عليّ، إياكَ والمِزاحَ، فإنَّه يُذهِبُ بهاءَ ٱبنِ آدَمَ ونَشاطَه. يا عليّ، عليك بقِراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[2]، فإنَّها مَنهاةٌ للفَقْرِ، وإيَّاكَ والرِّبا، فإنّ فيه ستَّ خِصالٍ، ثلاثةٌ منها في الدُّنيا، وثلاثةٌ

---

(١) المعصفر: المدهون بالعصفر، وهو نوع من الصِّبْغ يُستخرج من النبات.
(٢) سورة الإخلاص، الآية ٢.

في الآخِرَة، فأما التي في الدنيا، فتُعَجِّلُ ٱلفَناءَ، وتُذْهِبُ الغِنَىٰ، وتَمْحَقُ الرِّزْقَ، وأمّا التي في الآخِرَة، فسوءُ الحساب، وسُخْطُ ربِّ الأرْبابِ عزَّ وجَلّ، والخلودُ في النارِ.

يا عليُّ، إذا دَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فَسَلِّمْ علىٰ أهْلِ بيتِكَ يكثُرْ خيرُ بَيْتِكَ. يا عليُّ، أحبَّ الفقراء والمساكين يحبُّك الله. يا عليّ، لا تَنْهَرِ المساكين والفقراءَ فتنهركَ الملائكةُ يومَ القِيامَة. يا عليُّ، عَلَيكَ بالصَّدقَةِ فإنّها تَدْفَعُ عَنْكَ السُّوءَ. يا عَلِيُّ، أَنْفِقْ وأوسِعْ علىٰ عيالِكَ، ولا تَخْشَ من ذي ٱلعَرْشِ إقلالاً.

يا عليُّ، إذا رَكِبْتَ دابَّةً فَقُل: الحمدُ لله الذي كَرَّمنا وهدانا للإسلام ومَنَّ علَيْنا بمُحَمَّد عليه الصلاةُ والسلام، ﴿**الحمدُ لله الذي سخَّر لنا هذا وما كُنّا لهُ مُقرِنينَ☆ وإنا إلى رَبِّنا لَمُنقَلِبون**﴾[1].

يا عليُّ، لا تَغْضَبَنَّ إذا قيل لك: اتَّقِ اللهَ، فيسوءَكَ ذلك يوم القيامة.

يا علي، إنَّ اللهَ يَعْجَبُ من عَبْدِهِ إذا قال: اللهُمَّ ٱغْفِرْ لي إنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلاّ أنْتَ يقول: يا ملائكتي عبدي هذا عَلِمَ أنه لا يغفِرُ الذُّنوبَ غيري، ٱشهدوا أنّي قد غَفَرتُ له.

يا عليّ، إذا لَبِسْتَ ثَوْباً جديداً فَقُلْ: بسم اللهِ والحمدُ لله الذي كساني ما أواري به عَوْرَتي، وأستَغْني به عن الناسِ، لم يَبْلُغِ الثَّوبُ ركبتيْكَ حتىٰ يُغْفَرَ لك. يا عليّ، مَنْ لَبِسَ ثَوْباً جديداً فكسا فقيراً أو يتيماً أو عُرياناً أو مسكيناً، كان في جِوار اللهِ وأمنهِ وحِفْظِهِ ما دامَ عليه سِلْكٌ.

يا عليُّ، إذا دَخلْتَ السُّوقَ فَقُلْ حين تَدْخل: «بسم الله، وباللهِ،

---

(١) سورة الزخرف، الآيتان ١٣- ١٤.

أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلاّ اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ»، يقول الله تعالىٰ: عبدي ذَكرني والناسُ غافِلونَ، ٱشهَدوا أني قد غَفَرْتُ له، يا عليُّ، إنّ الله يَعْجبُ مِمَّن يذكرُهُ في الأسواقِ. يا عليُّ، إذا دَخَلْتَ المسجد فَقُلْ «بسم الله والسلامُ علىٰ رسول الله، اللهم ٱفْتَحْ لي أبوابَ رحْمَتِكَ» وإذا خرجت فقُلْ: «بسم الله والصَّلاة علىٰ رسول الله، اللهم ٱفتح لي أبوابَ فَضْلِكَ»، يا عليُّ، إذا سَمِعْتَ المؤذِّنَ قُل مِثل مَقالَتِهِ، يكتَبْ لَكَ مِثلُ أجرِهِ. يا عليّ، وإذا فَرَغْتَ من وُضوئِكَ فَقُلْ: «أشهدُ أن لا إلهَ إلاّ الله، وأشهدُ أنَّ محمّداً رسولُ الله، اللهم ٱجعَلْني منَ التَّوابينَ، وٱجعَلني منَ المتطهِّرين»، تَخْرج من ذنوبكَ كيومِ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، وتُفْتَحُ لكَ ثمانِيةُ أبوابٍ في ٱلجَنَّة، يقال: ٱُدْخُلْ من أيِّها شئتَ.

يا عليُّ، إذا فَرَغْتَ من طعامِك فَقُلْ: «الحمدُ لله الذي أَطْعَمَنا وسقانا وجَعلنا مُسْلِمينَ. يا عليّ، إذا شَرِبتَ ماءً فَقُلْ: «الحمد لله الذي سقانا ماءً جَعَله عَذْباً فُراتاً برَحْمَتِه، ولَمْ يَجْعَلْهُ مِلحاً أُجَاجاً بذُنوبِنا» تُكتَبْ شاكراً.

يا عليُّ، إياكَ والكَذِبَ، فإنَّ الكَذِبَ يُسَوِّدُ ٱلوَجْهَ، ولا يزالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ حتَّىٰ يُسمَّىٰ عند الله كاذباً، ويَصْدُقُ حتىٰ يُسمَّىٰ عند الله صادقاً، إنَّ الكَذِبَ يُجانِبُ الإيمانَ. يا عليُّ، لا تَغْتابَنَّ أحداً، فإنَّ الغِيبةَ تُفْطِرُ الصَّائِمَ والذي يَغْتابُ النَّاسَ يأكُلُ لَحْمَهُ يومَ القِيامة. يا عليُّ، إياكَ وٱلنَّميمةَ، فلا يَدخُلُ الجنَّة قَتّات[1]. يا عليُّ، لا تَحلِفْ بالله كاذباً ولا صادِقاً. يا عليّ، لا تجعلوا اللهَ عُرْضَةً لأيمانِكُمْ، فإنَّ اللهَ لا يرحَمُ ولا يُزَكِّي من يحلِفُ بالله كاذباً.

يا عليُّ، أَمْلِكْ عَلَيْكَ لسانَكَ، وعَوِّدْهُ ٱلخَيْرَ، فإنَّ العَبْدَ يوم القيامة

---

(١) القتّاب: النمّام.

ليس عليه شيءٌ أشدّ خِيفَةً من لسانه. يا عليُّ، إياكَ واللجاجَةَ، فإنَّها ندامة. يا عليُّ، إياكَ والحِرْصَ، فإنَّ الحِرْصَ أَخْرَجَ أباكَ من ٱلجَنَّةِ. يا عليّ، إياكَ وٱلحَسَدَ، فإنَّ ٱلحَسَدَ يأكُلُ الحَسَناتِ كما تأكُلُ النارُ ٱلحَطَبَ. يا عليُّ، وَيْلٌ لِمَن يَكْذِبُ لِيُضحِكَ الناسَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ له.

يا عليُّ، عَلَيْكَ بالسِّواكِ فإنَّه مَطْهَرَةٌ للفَمِ، ومَرْضاةٌ للربِّ تعالىٰ، ومجلاةٌ للأسنانِ. يا عَلِيُّ، عَلَيْكَ بالتَّخَلُّلِ(١)، فإنَّه شيءٌ ليس أبغض إلىٰ الملائكةِ أنْ ترى في أسنان ٱلعَبْدِ طعاماً.

يا عليُّ، وأنهاك من حيَّاتِ ٱلبُيوتِ إلاّ الأفطَسَ والأبتَرَ فإنَّهُما شيطانان. يا عليُّ، وإذا رأيْتَ حَيَّةً في رَحْلِكَ فلا تَقْتُلْها حتىٰ تُخَرِّجَ(٢)، عليها ثلاثاً، فإن عادتْ الرابعة فٱقْتُلها. يا عليُّ، وإذا رأيتَ حيَّةً في الطريق فاقتُلها، فإني قدِ ٱشترطتُ علىٰ ٱلجِنّ أن لا يظهروا في صورة الحيّات في الطريق، فمن فَعَلَ خَلَّى بِنفْسه للقَتْل.

يا عليُّ، أربَعُ خِصالٍ من الشقاءِ: جمودُ ٱلعَيْنِ، وقَساوَةُ القَلْبِ، وبُعْدُ الأَمَلِ، وحُبُّ الدُّنيا. يا عليُّ، أنهاكَ عن أَرْبَعِ خِصالٍ عِظامٍ: الحَسدِ، وٱلحرصِ، وٱلغَضَبِ، وٱلكَذِبِ.

يا عليُّ، ألا أُنبِّئُكَ بِشَرِّ الناسِ؟ قال: قلتُ: بلىٰ يا رسول الله. قالَ: مَنْ أَكَلَ وحدَهُ، ومَنَعَ رِفْدَهُ، وضَرَبَ عَبْدَهُ. ألا أُنبِّئُكَ بشَرّ من هؤلاء جميعاً؟ قال: قُلْتُ: بلىٰ يا رسولَ اللهِ. قال: مَن لا يرجىٰ خَيْرُهُ، ولا يُؤمَنُ شرُّهُ.

يا عليُّ، إذا صلَّيْتَ علىٰ جَنازةٍ فَقُلْ: «اللهُمَّ هذا عَبْدُكَ، وٱبنُ عَبْدِكَ، وٱبنُ أَمَتِكَ، ماضٍ فيه حُكْمُكَ، خَلَقْتَهُ، ولم يَكُنْ شيئاً مذكوراً

(١) التخلُّل: تنظيف الأسنان ممّا يبقى فيها من بقايا الأطعمة.
(٢) أي تضيّق وتطرد.

نَزَلَ بِكَ وأنتَ خَيْرُ منزولٍ به، اللهمَّ لَقِّنْهُ حُجَّتهُ، وألحقْه بنبيِّه ﷺ، وثَبِّتْهُ بٱلقولِ الثَّابتِ، فإنَّه ٱفتقرَ إليكَ وٱستَغْنَيْتَ عَنه، كانَ يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلاّ أنتَ، فٱغْفِرْ لَهُ وٱرحَمْهُ، ولا تَحرِمْنا أجرَهُ، ولا تَفْتِنّا بعْدَهُ، اللهُمَّ إنْ كانَ زاكياً فَزكِّهِ، وإن كانَ خاطِئاً فٱغْفِرْ له. يا عليُّ، وإذا صلَّيْتَ علىٰ جَنازَةِ ٱمرأةٍ فَقُلْ: اللهمَّ أنتَ خَلَقْتَها وأنتَ أَحْيَيْتَها، وأنت أمَتَّها، تَعْلَمُ سرَّها، وعلانِيَتَها، جئناكَ شُفَعاء لها، فٱغفِرْ لها وٱرْحَمْها، ولا تَحْرِمْنا أجرَها، ولا تَفْتِنّا بَعْدَها»، وإذا صَلَّيْتَ علىٰ طِفْلٍ فَقُلْ: اللهُمَّ ٱجْعَلْهُ لِوالديه سَلَفاً، وٱجْعَلْهُ لَهُما ذُخْراً، وٱجْعَلْهُ لهما رشداً، وٱجعله لهما نوراً، وٱجعله لهُما فَرَطاً[1]، وأعقِبْ والديه ٱلجَنَّةَ، ولا تَحرُمْهُما أجرَهُ، ولا تُفْتِنْهُما بعده».

يا عليُّ، إذا تَوَضَّأتَ فَقُلْ: «اللهمَّ إني أسأَلُكَ تمامَ ٱلوُضوءِ، وتمامَ مَغْفِرَتِكَ ورِضوانِكَ.»

يا عليّ، إنّ العبدَ المؤمنَ إذا أتىٰ عليه أربعونَ سنةً، أمَّنَه اللهُ من البلايا الثلاثة: ٱلجنونِ، والجذامِ، والبَرَصِ، وإذا أَتَتْ عَلَيْهِ ستّون سنة فهو في إقبال، وبَعْد السِّتّين في إدبارٍ، ورَزَقَه اللهُ الإنابَة فيما يُحِبُّ، وإذا أَتَتْ عليه سبعونَ سنةً أَحَبَّهُ أهل السَّماواتِ؛ وصالحوا أهل الأرضِ، وإذا أَتَتْ عَلَيْهِ ثمانونَ سنة، كُتِبَتْ له حَسناتُه، ومُحِيَتْ عَنْهُ سيِّئاتُه، وإذا أَتَتْ عليه تسعونَ سنةً، غَفَرَ الله له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِه وما تأخَّر، وإذا أَتَتْ عَلَيْه مائة سنَةٍ كَتَبَ اللهُ ٱسمه في السَّماء؛ أسيرُ اللهِ في أرضه، وكان جَليسَ الله تعالىٰ. يا عليُّ، احفَظْ وصيَّتي، إنَّك علىٰ ٱلحقِّ، والحقُّ معك.

★ ★ ★

(١) الفرط: المتقدِّم في الأَجْر.

الفصل السابع:

وصيّته لأبي ذرّ الغفاريّ

قال الرسول (ﷺ) لأبي ذرّ الغفاري[1]، يوصيه[2]:

أوصيكَ بتقوى الله في سرّ أمرك وعلانيّته، وإذا أسأتْ فأَحْسِنْ، ولا تسألْ أحداً شيئاً وإنْ سقط سوطُكَ، ولا تومِّنْ أمانةً، ولا تولينَّ يتامى، ولا تقضِيَنَّ بين اثنين.

★ ★ ★

---

(١) هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد (٠٠٠ - ٣٢هـ/ ٦٥٢م) من كبار الصحابة، قديم الإسلام، يقال أسلم بعد أربعة وكان خامساً. يضرب به المثل في الصدق. وهو أوّل من حيّا رسول الله (ﷺ) بتحية الإسلام. هاجر بعد وفاة النبي (ﷺ) إلى بادية الشام، فأقام إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان، فسكن دمشق، وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم. فاضطرب هؤلاء، فشكاه معاوية (وكان والي الشام) إلى عثمان (الخليفة) فاستقدمه عثمان إلى المدينة، فقدمها، واستأنف نشر رأيه في تقبيح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء، فعلت الشكوى منه، فأمره عثمان بالرحلة إلى الربذة (من قرى المدينة) فسكنها إلى أن مات. كان كريماً لا يخزن من المال قليلاً ولا كثيراً، ولما مات لم يكن في داره ما يكفّن به. ولعلّه أوّل اشتراكي طاردته الحكومات. روى له البخاري ومسلم ٢٨١ حديثاً، وفي اسمه واسم أبيه خلاف (الأعلام ٧/ ١٤٠).

(٢) نهاية الأرب ٦/ ٢٦٤.

الفصل الثامن:

وصيَّته لعقبة بن عامر

وقال الرسول (ﷺ) لعقبة بن عامر[1] يوصيه وقد سأله ذلك[2]:

أوصيكَ بتقوى الله، وليسعْكَ بيتك، واملكْ عليكَ لسانك، وابْكِ على خطيئتِك.

★ ★ ★

(١) هو عقبة بن عامر بن بن مالك الجهني (٠٠٠ - ٥٨هـ/ ٠٠٠ - ٦٧٨م)، أمير. من الصحابة. كان رديف النبي (ﷺ) وشهد صفين مع معاوية، وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص. وولي مصر سنة ٤٤هـ، وعزل عنها سنة ٤٧، وولي غزو البحر. ومات بمصر. كانت شجاعاً فقيهاً شاعراً قارئاً، من الرماة. وهو أحد من جمع القرآن. قال ابن يونس: ومصحفه بمصر إلى الآن (أي إلى عصر ابن يونس) بخطه على غير تأليف مصحف عثمان، وفي آخره: وكتبه عقبة بن عامر بيده. له ٥٥ حديثاً. وفي القاهرة «مسجد عقبة بن عامر» بجوار قبره (الأعلام ٤/ ٢٤٠).

(٢) لباب الآداب ص ٢٧٢. والحديث في البيان والتبيين لبعض العلماء يوصي ابنه.

الفصل التاسع:

وصايا متفرّقة للرسول (ﷺ)

قال رسول الله ﷺ يوصي رَجُلاً وقَدْ طَلَبَ مِنه ذلك:

قالَ رَجُلٌ: يا رسولَ اللهِ أوصِني بشيءٍ ينْفَعني اللهُ به. قال: أكْثِرْ ذِكرَ المَوتِ يُسَلِّكَ عَنِ الدُّنيا، وعَلَيْكَ بالشُّكْرِ، فإنَّهُ يزيدُ في النِّعمةِ، وأكثِرِ الدُّعاءَ فإنَّكَ لا تَدري مَتى يُسْتَجابُ لَكَ، وإياكَ وٱلبَغْيَ فإنَّ اللهَ قَدْ قَضى أنَّهُ مَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ ليَنْصُرَنَّهُ اللهُ، وقال: ﴿يا أَيُّها النَّاسُ إنَّما بَغْيُكُمْ على أَنْفُسِكُم﴾[1]، وإياكَ وٱلمكرَ فإنَّ اللهَ قَدْ قضى ألاّ يَحيقَ المكرُ السَّيِّئُ إلاّ بأهلِهِ.[2]

★ ★ ★

وقال يوصي رجلاً[3]:

أَقْلِلْ مِنَ الشَّهواتِ يسْهُلْ عَلَيْكَ الفَقْرُ، وأقْلِلْ مِنَ الذُّنوبِ يسْهُلْ عَلَيْكَ المَوتْ، وقَدِّمْ مالَكَ أمامَكَ يَسُرُّكَ اللحاقُ به، واقْنَعْ بما أوتِيتَهُ يَخِفَّ عَلَيْكَ الحسابُ، ولا تَتشاغَلْ عَمَّا فُرِض عَلَيْكَ بما قَدْ ضُمِنَ لَكَ،

---

(١) سورة يونس، الآية ٢٣.

(٢) البيان والتبيين ٢/٢١.

(٣) وصايا ابن عربي ص٢٦٠.

إنَّه لَيْسَ بفائِتِكَ ما قُسم لكَ، ولَسْتَ بلاحِقٍ ما ذُوِيَ عَنْكَ، ولا تَكُ جاهِداً فيما يُصبحُ نافذاً، وٱسعَ لِمُلْكٍ لا زَوالَ لهُ في مَنْزِلٍ لا ٱنتِقالَ عَنْهُ.

★ ★ ★

وقال رسولُ الله ﷺ يوصي النّاسَ[1]:

أوصيكُمْ بثلاثٍ، وأنهاكُمْ عَنْ ثلاثٍ. أُوصيكُمْ بٱلذِّكْرِ، فإنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿فٱذْكُرُوني أذكُرْكُمْ﴾[2]، وأوصيكُمْ بالشُّكرِ فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزيدَنَّكُمْ﴾[3]، وأوصِيكمْ بالدُّعاءِ، فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿ٱدْعوني أستَجِبْ لَكُمْ﴾[4].

وأنهاكُمْ عَنِ ٱلبَغْيِ، فإنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿إنَّما بَغْيُكُمْ على أَنْفُسِكُمْ﴾[5]، وأنهاكُمْ عَنِ ٱلمكرِ، فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿ولا يَحيْقُ المكْرُ السَّيِّءُ إلاّ بأهلِهِ﴾[6]، وأنهاكُمْ عَنِ النُّكْثِ، فإنَّ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ يقول: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فإنَّما يَنْكُثُ على نَفسِهِ﴾[7].

★ ★ ★

---

(١) لباب الآداب ص٦.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٢.
(٣) سورة إبراهيم، الآية ٧.
(٤) سورة غافر، الآية ٦٠.
(٥) سورة يونس، الآية ٢٣.
(٦) سورة فاطر، الآية ٤٣.
(٧) سورة الفتح، الآية ١٠.

وقال يوصي رجلاً[١]:

عليكَ باليأسِ ممّا في أيدي الناس، فإنّه الغِنى، وإيّاكَ والطمع، فإنّه الفقر الحاضر، وَصَلِّ صلاتَكَ وأنتَ مُودِّعٌ، وإيّاكَ وما يُعتذر منه.

★ ★ ★

وقال يُوصي رجلاً[٢]:

أَقْلِلْ من الدَّين تعِشْ حرّاً، وأَقْلِلْ من الذنوب يَهُنْ عليك الموت، وانظرْ في أيّ نصابٍ تضمّ ولدك، فإنّ العرقَ دسّاس.

★ ★ ★

وقال يُوصي المهاجرين بالأنصار[٣]:

يا معشَرَ المهاجرين، استوصُوا بالأنصار خيراً، فإنّ الناس يزيدون، وأنّ الأنصار على هيئتها لا تزيد، وأنّهم كانوا عَيْبتي[٤] التي أويتُ إليها، فأحْسِنُوا إلى محْسنهم، وتجاوزوا عنْ مسيئهم.

★ ★ ★

وقال يوصي عند عقد الألوية[٥].

أُغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله. لا تغدروا،

---

(١) لباب الآداب ص ٣٠٥.
(٢) لباب الآداب ص٥.
(٣) سيرة النبيّ ٤/١٠٦٤.
(٤) العيبة: موضع السرّ.
(٥) نهاية الآداب ١٦٨/٦.

ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا امرأة، ولا وليداً.

★ ★ ★

وقال يوصي[1]:

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرِم جاره. قالوا: يا رسول الله، ما حق الجار على الجار؟ قال:

إن سألك فأعطه، وإن استعانك فأعنه، وإن استقرضك فأقرضه، وإن دعاك فأجبه، وإن مرض فعده، وإن مات فشيِّعه، وإن أصابته مصيبة فعزّه، ولا تؤذه بقتار قِدْرِك إلاّ أن تغرف له منها، ولا ترفع عليه البناء لتسد عليه الريح إلاّ بإذنه.

★ ★ ★

وقال يوصي رجلاً وقد سأله ذلك[2]:

عليك بتقوى الله، فإنه جماع كل خير، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله، وتلاوة القرآن، فإنه نور في الأرض، وذكر لك في السماء، واخزنْ لسانك إلا من خير، فإنه بذاك تغلب الشيطان.

★ ★ ★

وقال يوصي[3]:

أوصي من آمن باللّهِ وصدّقني بولاية علي بن أبي طالب، من تولاّه

---

(١) لباب الآداب ص٩.
(٢) لباب الآداب ص٩.
(٣) الأخبار الموفقيات ص٣١٢.

فقد توّلاني، ومن تولاّني فقد تولّى اللّهَ، ومن أحبّه فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ اللّه عزّ وجلّ.

★ ★ ★

وقال يوصي بعض أهله[1]:

أنفقْ على أهلك من طولك، ولا ترفع عصاك عنهم، وأخفهم في الله.

★ ★ ★

وقال يوصي[2]:

استْحيِ من الله، كما تستحيي رجلاً صالحاً من قومك.

★ ★ ★

وقال يوصي[3]:

ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحًّا مطاعاً وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمراً لا يدان لك به، فعليك بنفسك، ودع أمر العوام، فإن من ورائكم أياماً، الصابر فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن كأجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله.

★ ★ ★

---

(١) شرح مقامات الحريري ص١١٩.
(٢) لباب الآداب ص ٢٨٢.
(٣) لباب الآداب ص٩ – ١٠.

الباب الثاني:

وصايا أبي بكر الصِّدِّيق

الفصل الأوّل:

ترجمته

عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي (٥١ق.هـ. - ١٣هـ/ ٥٧٣ - ٦٣٤)، أبو بكر: أوّل الخلفاء الراشدين، وأوّل من آمن برسول الله (ﷺ) من الرجال، وأحد أعاظم العرب. ولد بمكة، ونشأ سيّداً من سادات قريش، وغنيًا من كبار موسريهم، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش. وحرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها. ثم كانت له في عصر النبوّة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال. وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي (ﷺ) سنة ١١هـ، فحارب المرتدّين والممتنعين من دفع الزكاة. وافتتحت في أيّامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق. واتّفق له قوّاد أمناء كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبي عبيدة بن الجرّاح، والعلاء بن الحضرميّ، ويزيد بن أبي سفيان، والمثنّى بن حارثة. وكان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامّة، خطيباً لسناً، وشجاعاً بطلاً. مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، وتوفي في المدينة. له في كتب الحديث ١٤٢ حديثاً. قيل: كان لقبه «الصدّيق» في الجاهلية، وقيل: في الإسلام لتصديقه النّبيّ (ﷺ) في خبر الإسراء[١].

---

(١) الزركلي: الأعلام ٤/ ١٠٢.

الفصل الثاني:

وصيّته لعمر بن الخطّاب

قال أبو بكر الصدِّيق إلى عمر بن الخطاب[1] يوصيه[2]:

إنَّ لله حقّاً بالليل لا يقبَلُه في النَّهارِ وحَقّاً في النَّهارِ لا يقبلُهُ بالليلِ، وإنَّه لا يَقْبَلُ نافِلَةً حتىٰ تؤدّى الفريضَةُ، أَلَمْ تَرَ يا عُمَر أنّما ثَقُلَتْ موازينُ مَنْ ثَقُلَتْ موازينُه يومَ القيامَةِ بٱتّباعهم الحقَّ وثِقله عليهم، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضَعُ فيه غداً إلاّ حَقٌّ أنْ يكونَ ثقيلاً، ألمْ تَرَ يا عُمر أنّما خَفَّتْ موازينُ مَنْ خَفَّت موازينه يومَ القِيامَةِ بٱتّباعِهِم الباطِلَ وخفَّتهُ عليهم، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضَعُ فيه غداً إلا باطلٌ أنْ يكونَ خفيفاً، أَلَمْ تَرَ يا عُمَرُ أنما نَزَلَتْ آيةُ الرَّخاء مع آيةِ الشِّدَّةِ وآية الشدّة مَعَ آيةِ الرَّخاء ليكونَ المؤمِنُ راغِباً راهِباً، لا يرغَبُ رَغْبَةً يتمنّى فيها على اللهِ ما ليسَ لهُ، ولا يرهَبُ رَهْبَةً يُلقي فيها بيَديهِ، أَوَلَمْ تَرَ يا عُمَرُ أنّما ذَكَرَ اللهُ أهلَ النارِ بأسوأ أعمالهم فإذا ذكرتَهُمْ قُلْتَ: إنّي لأرجو أنْ لا أكونَ مِنهُم، وأنّه إنّما ذكَر أهْلَ الجنَّةِ بأَحْسَنِ أعمالهم لأنَّه يُجاوزُ لَهمْ ما كانَ من سيِّىءٍ، فإذا ذَكَرْتَهُم قُلْتَ: أينَ عَملي من أعمالِهِمْ؟ فإنْ حَفِظْتَ وَصيَّتي فلا يكونَنَّ غائِبٌ أَحَبَّ إليكَ من حاضرِ ٱلموتِ، ولَسْت بِمُعجِزِه.

---

(١) ستأتي ترجمته مفصّلة في الباب الثالث.

(٢) الكامل في تاريخ ٢/٤٢٦ - ٤٢٧.

الفصل الثالث:

وصيّته لخالد بن الوليد

قال أبو بكر الصدِّيق يُوصي خالد بن الوليد(١)، لمّا جهَّزه لقتال أهل الردّة(٢):

يا خالدُ، عَلَيْكَ بِتقوى الله، والرِّفْقِ بِمَن مَعَكَ من رَعِيَّتِكَ، فإنَّ مَعَكَ أصحابَ رسولِ اللهِ أهلَ السَّابِقَةِ منَ ٱلمُهاجرينَ والأنصار، فشاوِرْهُمْ فيما نَزَلَ بِكَ، ثُمَّ لا تُخالِفْهُمْ، وقدِّمْ أمامَكَ ٱلطَّلائِعَ تَرْتَدْ إليكَ المنازِل، وسِرْ في أَصْحابِك على تَعْبيةٍ جيِّدَةٍ، فإذا لَقيتَ أسداً وغَطفانَ، فبعضهم لَكَ، وبَعْضُهُمْ عَلَيْكَ، وبَعْضُهُمْ لا عَلَيْكَ ولا لَكَ، مُتَرَبِّصٌ دائِرَةَ السُّوءِ، ينْظُرُ لِمَنْ تكونُ الدائرةُ، فيَميلَ مع مَن تكونُ الغَلَبَةُ، ولكنَّ ٱلخَوْفَ عِندي من أهلِ ٱليمامة، فٱستَعِنْ باللهِ على قِتالِهِمْ، فإنَّهُ بلغني أنَّهُمْ رَجَعوا بأسرِهِمْ، فإنْ كفاكَ اللهُ الضَّاحيةَ فأمضِ إلى أهْلِ اليمامة. سِر على بَرَكَةِ الله.

★ ★ ★

(١) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي (... - ٢١ هـ/٦٤٢م) من أشراف قريش في الجاهلية. أسلم قبيل فتح مكّة، فولاّه الرسول (ﷺ) الخيل. ولما ولي أبو بكر وجّهه لقتال مسيلمة ومن ارتدّ من أعراب نجد، ثمّ سيّره إلى العراق سنة ١٢هـ، ففتح الحيرة. وكان خطيباً فصيحاً. (الزركلي: الأعلام ٢/ ٣٠٠).

(٢) جمهرة وصايا العرب ١/ ١٥١.

وقال يوصيه في المناسبة نفسها[1]:

سِرْ علىٰ بَرَكَةِ الله، فإذا دَخَلْتَ أرضَ ٱلعَدُوِّ فكُنْ بَعيداً من ٱلحَمْلَةِ، فإني لا آمنُ عَلَيْكَ الجَوْلَةَ، وٱستَظْهِرْ بِٱلزَّادِ وسِرْ بالأَدِلاَّء، ولا تُقاتِلْ بمَجْروحٍ فإنَّ بَعْضَهُ لَيْسَ مِنْه، واحترِسْ مِنَ ٱلبَياتِ فإنَّ في ٱلعَرَبِ غِرَّةً، وأَقِلَّ مِنَ الكلامِ، فإنَّما لَكَ ما دُعِيَ عَنْكَ، وٱقْبَلْ مِنَ النَّاسِ علانيَتَهُمْ، وكِلْهُمْ إلى الله في سَرائِرِهِمْ، وأستَودِعُكَ الله الذي لا تضيعُ ودائِعُهُ.

★ ★ ★

(١) العقد الفريد ١/١٢٩؛ وعيون الأخبار ١/١٠٨.

الفصل الرابع:

وصيّته لأبي عبيدة بن الجرّاح

قال أبو بكر الصدّيق يُوصي أبا عبيدة بن الجراح(١)، لمّا وجّهه(٢).

اسْمَعْ سَماعَ مَنْ يُريدُ أَنْ يَفْهَم ما قيل لَهُ، ثمَّ يَعْمَلُ بما أُمِرَ به، إنَّكَ تَخْرُجُ في أشرافِ النَّاسِ، وبُيوتاتِ العَرَبِ، وصُلَحاءِ المُسْلِمينَ، وفُرسانِ ٱلجاهليةِ، كانُوا يُقاتِلونَ إذَّاك عَنِ ٱلحَمِيَّةِ، وهُمُ اليوم يُقاتلون على الحِسْبَةِ والنِّيَّةِ الحسنة، أَحْسِنْ صُحْبَةَ مَنْ صَحِبَكَ، ولْيَكُن الناسُ عِنْدَكَ في ٱلحَقِّ سَواءً، واستعِنْ باللهِ، وكَفَى بالله مُعيناً، وتَوَكَّلْ علىٰ اللهِ، وكَفَى باللهِ وكيلاً، أخرج من غَدٍ إنْ شاءَ الله.

★ ★ ★

---

(١) هو عامر بن عبدالله بن الجرّاح بن هلال الفهري القرشيّ (٤٠ق.هـ - ١٨هـ/ ٥٨٤ - ٦٣٩م)، الأمير القائد، فاتح الديار الشاميّة، والصحابيّ. أحد العشرة المبشّرين بالجنّة. ولد بمكة، وولاه عمر بن الخطاب قيادة الجيش الزاحف إلى الشام، بعد خالد بن الوليد، فتمّ له فتح الديار الشامية، وبلغ الفرات شرقاً وآسية الصغرى شمالاً، ورتب للبلاد المرابطين والعمال، توفي بطاعون عمواس ودفن في غوربيسان. له ١٤ حديثاً. (الزركلي: الأعلام ٣/ ٢٥٢).

(٢) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٠٠.

وقال يوصيه[1]:

يا أبا عبيدةَ، اعملْ صالحاً، وعِشْ مُجاهِداً، وتَوَفَّ شَهيداً، يُعْطِكَ اللهُ كِتابَكَ بيَمينِكَ، وَلْتَقَرَّ عَيْنُكَ في دُنْياكَ وآخِرَتِكَ، فواللهِ، إني لأرجو أَنْ تكونَ مِنَ التَّوّابينَ الأوّابينَ المخَشَّئين الزاهدين في الدُّنيا، الراغبينَ في الآخِرَة، إنَّ اللهَ قد صَنَعَ بكَ خَيْراً وساقَهُ إليْكَ، إذْ جَعَلَكَ تَسيرُ في جَيْشٍ من المُسْلمين إلىٰ عَدُوِّهِ مِنَ المشركينَ، فَقاتِلْ مَنْ كَفَرَ بالله وشركَ بِهِ، وعَبَد مَعَهُ غَيرَهُ.

★ ★ ★

(١) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٠٠.

الفصل الخامس:

وصيَّته لأبي عبيدة قيس بن مكشوح

قال أبو بكر الصديق لأبي عبيدة قيس بن مكشوح(1) يوصيه عندما وجّهه لغزو الشام(2).

إنّه قَدْ صَحِبَكَ رَجُلٌ عظيمُ الشَّرَفِ، فارسٌ من فُرْسانِ العَرَبِ، لا أَظن له عظيم حسبة، ولا كثير نِيَّةٍ في الجهادِ، وليس بالمسلمين غِنًى عن مَشورتِه، ورأيِهِ وبأسِهِ في الحرب، فأَدْنِهِ، وألطِفْهُ، وأرِهِ أنَّكَ غَيْرُ مُسْتَغْنٍ ولا مُستَهينٍ بأمرِهِ، فإنَّكَ تَسْتَخْرِجُ منه بذلك نَصيحَتَهُ لكَ، وجُهْدَهُ ووجهه علىٰ عَدُوِّكَ.

★ ★ ★

---

(1) هو قيس بن هبيرة الملقّب بمكشوح، ابن هلال البجلي (٠٠٠ - ٣٧هـ - ٦٥٧م)، صحابي من الشجعان الأبطال الشعراء. كان سيّد بجيلة في الجاهلية، وفارسها. كنيته أبو شداد. له مواقف في الفتوحات، في زمن عمر وعثمان، في القادسية وغيرها. شهد قتال نهاوند، وحضر معارك صفين مع عليّ فقتل في إحداها. وهو ابن أخت عمرو بن معديكرب، وكان يناقضه في الجاهليّة. وفي الرواة مَن يعرّفه بالمرادي؛ وكان حليفاً لمراد، وعداده فيهم. (الزركلي: الأعلام ٥/ ٢٠٩).

(2) تاريخ الخميس ٢/ ٢٢٤.

وقال له في المناسبة نفسها[1]:

إنّي بَعَثْتُكَ مَعَ أبي عُبَيْدَةَ الأَمين، الذي إذا ظُلِمَ كَظَمَ، وذا أسِرَ إليهِ غَفَرَ، وإذا قُطِعَ وَصَلَ، رَحيمٌ بالمؤمنين، شديدٌ علىٰ الكافرين، فلا تَعْصِيَنّ لهُ أَمْراً، ولا تُخالِفنَّ لَهُ رأياً، فإنَّهُ لنْ يأمُرَكَ إلاّ بِخَيْرٍ، وَقَدْ أَمَرْتُه أن يسْمَعَ مِنْكَ، ولا تأمُرُه إلاّ بِتَقوى الله، فقد كُنّا نَسْمَعُ أنَّكَ شريف، بَئيسٌ، مُجَرَّبٌ، وذلك في زمان الشرك؛ والجاهلية الجهلاء، فاْجعل بأسكَ وشِدَّتك ونجدَتَكَ اليومَ في الإسلامِ علىٰ مَنْ كَفَرَ باللهِ، وعَبَدَ غَيْرَهُ، فقد جَعَلَ الله فيه الأَجْرَ العظيمَ، والعِزَّ للمسلمين.

★ ★ ★

---

(١) تاريخ الخميس ٢/ ٢٢٤.

الفصل السادس:

وصيّته ليزيد بن أبي سفيان

قال أبو بكر الصديق يوصي يزيد بن أبي سفيان[1] لما وجّهه إلى الشام[2]:

إنّي قَدْ وَلَّيْتُكَ لأبلُوَكَ وأُجرِّبَكَ وأُخَرِّجَكَ، فإن أَحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إلىٰ عملِكَ وزِدْتُك، وإنْ أسأْتَ عَزَلْتُكَ، فَعَلَيْكَ بتقوى اللهِ فإنَّه يرى من باطِنِكَ مثل الذي من ظاهرِكَ، وإنَّ أَوْلى الناسِ باللهِ أَشَدُّهُمْ تَوَلِّياً لَهُ، وأقربَ الناسِ من اللهِ أَشَدُّهم تَقَرُّباً إليه بِعَمَلِهِ، وقد ولَّيْتُكَ عَمَلَ خالد، فإيّاكَ، وعُبِيَّة الجاهلية[3]، فإنَّ اللهَ يُبْغِضُها ويُبْغِضُ أَهْلَها.

وإذا قدمتَ على جُندِكَ؛ فأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمْ، وٱبدأهُمْ بالخَيْرِ وعِدْهُمْ إياهُ، وإذا وَعَظْتَهُمْ فأوجزْ؛ فإنَّ كثيرَ الكلامِ يُنسي بعْضُهُ بعضاً، وأَصلِحْ

---

(١) هو يزيد بن صخر (أبي سفيان) بن حرب (٠٠٠ - ١٨هـ/ ٦٣٩م) الأمويّ، أبو خالد: أمير، صحابي، من رجالات بني أميّة شجاعة وحزماً. أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبي (ﷺ) على صدقات بني فراس، وكانوا أخواله. ثم استعمله أبو بكر على جيش، وسيّره إلى الشام، ولما استخلف عمر، ولاّه فلسطين، ثم ولي دمشق وخراجها. وافتتح قيسارية، وهو أخو معاوية الخليفة. توفي في دمشق بالطاعون، وهو على الولاية (الزركلي: ٨/ ١٨٤).

(٢) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٠٤ - ٤٠٥.

(٣) أي ما كان عليه الجاهليون من الظلم.

نَفْسَكَ يَصلُح لكَ الناسُ، وصَلِّ الصَّلوات لأوقاتها بإتمامِ ركوعِها وسُجودِها والتَّخَشُّعِ فيها، وإذا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فأكرِمهُمْ، وأَقْلِلْ لَبْثَهُمْ حَتَّى يَخْرجوا من عَسْكَرِك وهُمْ جاهلونَ به، ولا تَرَيَنَّهُمْ فَيَرُوا خَلَلَكَ، ويَعْلَموا عِلْمَكَ، وَأَنزِلْهُمْ في ثَرْوَةِ(١) عَسْكَرِكَ وٱمْنَعْ مَنْ قِبَلَكَ من محادَثَتِهِمْ، وكُنْ أنتَ المُتَولي لكلامِهِمْ، ولا تَجْعَلْ سِرَّكَ لِعَلانِيَّتِكَ فَيُخْلَطَ أمرُكَ، وإذا ٱستَشَرْتَ فٱصدُقِ الحديثَ تُصْدَقِ المشورَةَ، ولا تَخْزِنْ عنِ المشيرِ خَبَرَكَ فتؤتىٰ من قِبَلِ نَفْسِكَ.

واسمُرْ بالليلِ في أصحابِكَ تأتِكَ الأخبارُ، وتَنْكَشِفْ عِنْدَكَ الأستار بغير عِلْمٍ مِنْهُمْ بكَ، فمَنْ وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ مَحْرَسِهِ فأحسِنْ أَدَبَهُ وعاقبه في غَيْرِ إفراطٍ، وأعقِبْ بينَهُمْ بالليلِ، وٱجعَلِ النَّوبةَ الأولىٰ أَطْوَلَ من الأخيرة فإنَّها أيسَرُهما لقُربها منَ النَّهار، ولا تَخَفْ من عُقوبة ٱلمُسْتَحِقِّ، ولا تَلِجَّنَّ، ولا تُسْرِعْ إليها، ولا تَخْذُلْها مَدْفَعاً(٢)، ولا تَغْفَلْ عَنْ أَهْلِ عَسْكَرِك فَتُفْسِدَ، ولا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ، ولا تَكْشِفِ الناسَ عنْ أَسرارِهم، وٱكتَفِ بِعلانِيَّتهم، ولا تجالِسِ العَبَّاثينَ، وجالِسْ أهلَ الصِّدْقِ والوَفاءِ وٱصدُقِ اللقاءَ، ولا تَجْبُن فَيَجْبَنَ الناسُ، وٱجتَنِبِ الغُلول(٣) فإنَّهُ يُقرِّبُ الفَقْرَ، ويَدْفَعُ النَّصْرَ، وسَتَجِدونَ أقواماً أَنْفُسَهُم في الصَّوامِعِ فدَعْهُمْ وما حَبَسوا أَنْفُسَهُمْ له.

★ ★ ★

وقال يوصيه في المناسبة نفسها(٤):

---

(١) الثروة: الكثير من الناس.
(٢) أي: لا تتهاون فيها.
(٣) الغلول : الظلم.
(٤) جمهرة خطب العرب ١/١٩٧.

يا يزيد، إني أوصيكَ بِتَقْوى اللهِ وطاعَتِه، والإيثارِ لهُ، والخوفِ منه، وإذا لَقِيْتَ العَدُوَّ فأظفَرَكُمُ اللهُ بهِمْ، فلا تَغْلُلْ، ولا تُمَثِّل، ولا تغدُرْ، ولا تَجْبُنْ، ولا تَقْتُلوا وَليداً، ولا شيْخاً كبيراً، ولا آمرأةً، ولا تَحْرِقوا نخْلاً، ولا تَقْعَروه، ولا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، ولا تَعْقروا بهيمةً إلاّ لمأكَلَةٍ، وستَمُرّونَ بِقَوْم في الصَّوامِعِ، يَزْعُمونَ أنَّهم حَبَسوا أنْفُسَهُمْ لله، فدَعوهُمْ وما حَبَسوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ. وستَجِدونَ آخَرينَ قد فَحَصَ الشَّيطانُ عَنْ أوساطِ رؤوسهِمْ، حَتّى كأنَّ أوساط رؤوسِهِمْ أفاحيصَ القطا[1]، فآضرِبوا ما فَحَصوا من رؤوسهم بالسُّيوف حتّىٰ ينيبوا إلىٰ الإسلام، أو يؤدّوا الجِزْيَةَ عَن يدٍ وهم صاغرونَ، ولَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ورسله بالغيب. ثمّ أَخَذَ يَدَهُ فقال: إنّي أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ، وعليك سَلامُ اللهِ ورَحْمَتُه، ثمَّ ودَّعه وقال: إنَّكَ أوَّلُ أمرائي، وقَدْ وَلَّيْتُكَ على رجالٍ من المسلمين أشرافٍ غيرِ أوزاع[2] في النَّاسِ، فأحْسِنْ صُحْبَتَهُمْ، ولتكُنْ لَهُم كَنَفاً، وآخفِضْ لَهُمْ جَناحَكَ، ﴿وشاوِرْهمْ في الأمرِ﴾[3] أَحْسَنَ الله لَكَ الصَّحابة وعَلَيْنا الخِلافة.

★ ★ ★

(١) أفاحيص القطا: مجثمها.

(٢) الأوزاع: الضعفاء.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

الفصل السابع :

وصيَّته لعمرو بن العاص

قال أبو بكر الصدّيق يوصي عمرو بن العاص[1] لمّا وجّهه إلى الشام :[2]

يا عمرو اتَّقِ اللهِ في سرِّ أَمْرِكَ وعلانِيَّتِهِ، وٱستَحْيِهِ، فإنَّهُ يراكَ ويَرى عَمَلَكَ، وقَدْ رأَيْتَ تَقديمي إيّاكَ علىٰ مَنْ هُوَ أَقْدَمُ سابقَةً مِنْكَ، ومَنْ كانَ أَعْظَمَ غناء عن الإسلامِ وأهلهِ مِنْكَ، فَكُنْ من عُمَّالِ الآخِرَةِ، وأَرِدْ بما تَعْمَلُ وَجْهَ الله، وكنْ والداً لمَنْ مَعَكَ، ولا تَكْشِفَنَّ الناسَ عَنْ أَسْتارِهِمْ، واكتَفِ بعلانيتهمْ، وكُنْ مُجِداً في أَمْرِكَ، وٱصدُقِ اللقاءَ إذا لاقَيْتَ، ولا تَجْبُن، وإذا وَعَظْتَ أصحابَكَ فأوجِزْ، وأصلِحْ نَفْسَك

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل السهميّ القرشيّ (٥٠ق. هـ - ٤٣هـ/ ٥٧٤ - ٦٦٤م)، أبو عبدالله: فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهاتهم، وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم. كان في الجاهلية من الأشدّاء على الإسلام، وأسلم في هدنة الحديبية. وولاّه النبي (ﷺ) إمرة جيش «ذات السلاسل» وأمدّه بأبي بكر وعمر. ثمّ استعمله على عُمان. ثم كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام في زمن عمر. وهو الذي افتتح قنّسرين، وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية، وولاه عمر فلسطين، ثم مصر. وعزله عثمان. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية كان عمرو مع معاوية، فولاه معاوية على مصر سنة ٣٨هـ، توفي بالقاهرة. وله في كتب الحديث ٣٩ حديثاً. (الزركلي: الأعلام ٥/ ٧٩).

(٢) تاريخ ابن عساكر ١/ ١٢٩.

تَصْلُحْ لك رَعِيَّتُكَ.

★ ★ ★

وقال يوصيه ويوصي الوليد بن عقبة[١].

اتّقِ الله في السرّ والعلانية، فإنّه ﴿من يتّقِ اللهَ يَجْعَلْ له مَخْرَجاً وَيرْزِقْهُ من حيث لا يَحْتَسِبُ﴾[٢]. ومن يتّقِ الله يُكفّرْ عنه سيّئاتِهِ، ويعظّمْ له أجراً، فإنّ تقوى الله خير ما تَوَاصى به عبادُ اللهِ، إنّك في سبيل الله لا يَسَعُكَ فيه الإدْهان والتفريط والغفلة عمّا فيه قِوام دينكم، وعصمة أمركم، فلا تنِ ولا تَفْتُرْ[٣].

وقال يوصيه، وقد أمدّ به جيش أبي عبيدة الجرّاح:

يا عمرو، إنّكَ ذوي رأيٍ وتجربةٍ بالأُمورِ، وتَبْصِرَةٍ بالحربِ وقد خَرَجْتَ معَ أشرافِ قَوْمِكَ، ورجالٍ من صُلَحاءِ المُسْلِمينَ، وأَنْتَ قادِمٌ على إخوانِكَ، فلا تألُهُمْ نصيحةً، ولا تدَّخِرْ عَنْهُمْ صالِحَ مَشورَةٍ، فَرُبَّ رأيٍ لَكَ مَحْمُودٍ في الحربِ، مُبارَكٍ في عواقِبِ الأُمورِ[٤].

★ ★

---

(١) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط (... ٦١ هـ/ ٦٨٠م) أبو وهب الأموي القريشي. من فتيان قريش، وشعرائهم وأجوادهم. فيه ظرف ومجون ولهو، وهو أخو عثمان بن عفّان لأمّه. أسلم يوم فتح مكّة. ولاه عمر صدقات بني تغلب، وولاّه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة ٢٥ هـ، فانصرف إليها وأقام إلى سنة ٢٩هـ فيها. مات بالرقة (الزركلي: الأعلام ٨/ ١٢٢).

(٢) سورة الطلاق، الآية ٢.

(٣) جمهرة خطب العرب ١/ ١٨٧.

(٤) جمهرة خطب العرب ١/ ١٦٩.

الفصل الثامن:

وصيّته لشرحبيل بن حسنة

قال أبو بكر الصديق لشرحبيل بن حسنة[1] يوصيه[2]:

يا شُرَحبيل، ألم تَسْمَعْ وصيَّتي ليزيد بن أبي سفيان[3]؟ قال: بلى، قال: فإني أوصيكَ بِمِثْلها، وأوصِيْكَ بخصالٍ أَغْفَلْتُ ذِكْرَهُنَّ ليزيد: أوصيك بالصَّلاة في وَقْتِها، وبالصَّبْرِ يومَ البأس حتى تَظْفَر أو تُقْتَلَ، وبِعيادَةِ المرضى، وبِحضورِ الجنائزِ، وذِكْرِ اللَّهِ كثيراً على كُلِّ حالٍ.

★ ★ ★

(١) هو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن الغطريف (٥٠ ق. هـ - ١٨ هـ/ ٥٧٤ - ٦٣٩م)، الكندي حليف بني زهرة: صحابيّ، من القادة، أسلم بمكة، وهاجر إلى الحبشة، جعله أبو بكر أحد الأمراء الذين وجّههم لفتح الشام. فافتتح الأردن كلّها عنوة، توفي بطاعون عمواس. (الزركلي: الأعلام ٣/ ١٥٩).

(٢) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٠٠.

(٣) تقدمت ترجمته في الفصل السادس من هذا الباب.

الفصل التاسع:

وصيّته لهاشم بن عتبة

قال أبو بكر الصديق يوصي هاشم بن عتبة(١)، وقد أرسله إلى الشام مُمِدّاً لأبي عبيدة بن الجراح(٢):

يا هاشمُ، إنّا إنّما كُنّا نَنْتَفِعُ مِنَ الشَّيخِ الكبيرِ برأيه ومَشورتَه، وحُسْنِ تدبيرِهِ، وكُنّا نَنْتَفِعُ مِنَ الشَّابِّ بِصَبْرِهِ وبأسِهِ ونَجْدَتِهِ، وإنَّ اللّه عَزَّ وجَلَّ قد جَمَعَ لَكَ تلك الخِصالَ كُلَّها، وأنتَ حديثُ السِّنِّ مُسْتَقْبِلُ الخَيْرِ، فإذا لقيتَ عَدُوَّكَ فاْصبِرْ وصابر، واْعلم أنّك لا تَخطو خُطوَةً، ولا تُنْفِقُ نَفَقَةً، ولا يُصيبُكَ ظلماً ولا نَصَبٌ(٣) ولا مَخْمَصَةٌ(٤) في سبيل اللّهِ إلاّ كَتَبَ اللّه لك به عَمَلاً صالحاً، إنَّ اللّهَ لا يُضيع أجرَ المحسنينَ(٥).

★ ★ ★

---

(١) هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص (... - ٣٧ هـ/ ٦٥٧ م) صحابي، خطيب من الفرسان، يلقّب بالمرقال. وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص. أسلم يوم فتح مكة. شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص، وأصيبت عينه يوم اليرموك، فقيل له «الأعور»، وفتح جلولاء، وكان مع عليّ بن أبي طالب في حروبه. وتولّى قيادة الرّجالة في صفين، وقتل في آخر أيّامها (الزركلي: الأعلام ٨/ ٦٦).

(٢) تقدمت ترجمته في الفصل الرابع من هذا الباب.

(٣) النصب: التعب.

(٤) المخمصة: الجوع.

(٥) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٠٢.

الفصل العاشر:

وصيّته لخالد بن سعيد بن العاص

قال أبو بكر الصديق لخالد بن سعيد بن العاص[1] لما خرج من المدينة غازياً[2]:

إِنَّكَ قَدْ أوصيتَني برشدي وقد وَعَيْتُه، وأنا موصيك فاستمع وصيَّتي وَعِها، إنَّكَ ٱمرُؤٌ قد جَعَلَ اللَّهُ لَكَ سابِقَةً في الإسلامِ، وفضيلةً عظيمةً، والنَّاسُ ناظرونَ إليكَ، ومُسْتَمِعونَ مِنْكَ، وقَدْ خَرَجْتَ في هذا الوجهِ العظيم الأَجْرِ، وأنا أرجو أن يكونَ خروجُكَ فيه لِحسْبَةٍ ونيَّةٍ صادِقةٍ إن شاءَ اللّه، فَثَبِّتِ العالِمَ، وعَلِّمِ الجاهِلَ، وعاتِبِ السَّفيه والمُتْرَفَ، وٱنصَحْ لعامَّة المُسلمينَ، وٱخصُصِ الوالي على ٱلجُند من نَصيحَتِكَ ومَشورَتكَ ما يَحِقُّ للّه ولِلْمسلمينَ عليْكَ، وٱعمَلْ للَّهِ كأنَّكَ تراهُ،

---

(١) هو خالد بن سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس (... - ١٤ هـ/ ٦٣٥ م)، صحابي، من الولاة والغزاة، قديم الإسلام، فكان الثالث أو الرابع من الداخلين في الإسلام بعد البعثة. ضربه أبوه (أبو أحيحة) بعصا كانت في يده حتى كسرها على رأسه، ثم حبسه (بمكة) وضيّق عليه وأجاعه، وقطع عنه الماء ثلاثة أيام، وهو صابر، ثم هاجر إلى الحبشة، وعاد سنة ٧ هـ، فغزا مع النبي (ﷺ)، وحضر فتح مكة، ثم وقعه تبوك. وكان يكتب للنبي (ﷺ) بمكة والمدينة. ثم بعثه رسول الله عاملاً على اليمن، وعزله أبو بكر. شهد فتح أجنادين سنة ١٣ هـ، ثم شهد وقعة مرج الصفر (قرب دمشق) فقتل فيها. (الزركلي: الأعلام ٣/ ٢٩٦).

(٢) جمهرة خطب العرب ١/ ١٩٥.

واْعدُدْ نَفْسَكَ في الموتى، واْعلَمْ أنّا عَمّا قليلٍ مَيِّتونَ، ثمَّ مُساءلونَ ومُحاسَبونَ، جَعَلنا اللَّهُ وإياكَ لأنعُمِهِ من الشّاكرينَ، ولِنقَمِهِ مِنَ الخائفينَ، ثمَّ أخذ يده فوَدَّعه.

★ ★ ★

الفصل الحادي عشر:

وصيّته لعثمان بن عفّان

لمّا حضرت الوفاةُ أبا بكر الصدّيق، دعا عثمان بن عفّان[1] وقال له اكتبْ[2]:

هذا ما عَهِدَ أبو بكر بن أبي قُحافَةَ، في آخِر عَهْدِهِ بالدُّنيا خارجاً مِنْها، وعِنْدَ أوّلِ عَهْدِهِ بالآخِرَةِ داخِلاً فيها، حَيْثُ يُؤمِنُ الكافِرُ ويوقِنُ الفاجِرُ، ويُصَدِّقُ الشّاكُّ المكذِّبُ.

إنِّي ٱستَخْلَفْتُ عليكُمْ بعدي عُمَرَ بنَ الخطابِ، فٱسمعوا لَهُ وأطِيعوا، فإني لمْ آلُ اللّهَ ورَسولَهُ ودينَهُ ونَفْسي وإياكُمْ خيراً، فإنْ عَدَلَ فَذَلِكَ ظنّي به وعِلْمي فيهِ، وإن بدَّلَ فلِكُلِّ ٱمرىءٍ ما ٱكتَسَبَ، والخيرَ أرَدْتُ، ولا يَعْلَمُ الغيبَ إلاّ اللّهُ، ﴿وسَيَعْلَمُ الذينَ ظَلَموا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبونَ﴾[3]، والسلامُ عليكم ورحمة اللّه.

★ ★ ★

---

(١) سترد ترجمته مفَصَّلةً في الباب الرابع من كتابنا هذا.
(٢) لباب الآداب ص٢١.
(٣) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

الباب الثالث:

وصايا عمر بن الخطّاب

الفصل الأوّل:

ترجمته

عمر بن الخطّاب بن نفيل القرشيّ العدويّ (٤٠ ق. هـ-٢٣ هـ/ ٥٨٤ - ٦٤٤ م)، أبو حفص: ثاني الخلفاء الراشدين وأوّل من لقِّب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل. كان في الجاهليّة من أبطال قريش وأشرافهم، وله السفارة فيهم، ينافر عنهم، وينذر من أرادوا إنذاره. وهو أحد العُمرَين اللذين كان النبيّ (ﷺ) يدعو ربّه أن يعزّ الإسلام بأحدهما. أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع. قال ابن مسعود: ما كنّا نقدر أن نصلّي عند الكعبة حتى أسلم عمر. وقال عكرمة: لم يزل الإسلام في اختفاء حتى أسلم عمر. وكانت له تجارة بين الشام والحجاز. بويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر (سنة ١٣ هـ) بعهد منه. وفي أيامه تم فتح الشام والعراق، وافتتحت القدس والمدائن ومصر والجزيرة. حتى قيل: انتصب في مدته اثنا عشر ألف منبر في الإسلام. وهو أوّل من وضع للعرب التاريخ الهجري، وكانوا يؤرّخون بالوقائع. واتخذ بيت مال للمسلمين، وأمر ببناء البصرة والكوفة فبنيتا. وأوّل من دوّن الدواوين في الإسلام، جعلها على الطريقة الفارسية، لإحصاء أصحاب الأعطيات وتوزيع المرتبات عليهم. وكان يطوف في الأسواق منفرداً. له كلمات

وخطب ورسائل غاية في البلاغة. وكان يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر. وكان أوّل ما فعله لما ولي، أن ردَّ سبايا أهل الردّة إلى عشائرهنّ، وقال: كرهت أن يصير السبي سبّة على العرب. وكانت الدراهم في أيامه على نقش الكسروية، فزاد في بعضها «الحمد لله»، وفي بعضها «لا إله إلاّ الله». له في كتب الحديث ٥٣٧ حديثاً. وكان نقش خاتمه «كفى بالموت واعظاً يا عمر». لقّبه النبي (ﷺ) بالفاروق، وكنّاه بأبي حفص. قتله أبو لؤلؤة، فيروز الفارسي (غلام بن شعبة) غيلة، بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح[١].

★ ★ ★

(١) الزركلي: الأعلام ٥/ ٤٥.

الفصل الثاني:

وصيّته لسعد بن أبي وقّاص

قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه يوصي سعد بن أبي وقّاص[١] ومن معه من الأجناد[٢]:

أمَّا بعدُ، فإني آمُرُكَ ومَنْ مَعَكَ من الأجنادِ بتقوى اللّه على كلّ حال، فإنَّ تقوى اللّهِ أَفْضَلُ العُدَّةِ على ٱلعَدوِّ، وأقوى المكيدةِ في الحرب.

وآمُرُكَ ومَنْ مَعَكَ أَنْ تكونوا أَشَدَّ ٱحتراساً مِنَ المعاصي مِنْكُم من عدوِّكم، فإنَّ ذُنوبَ الجيشِ أَخْوَفُ عَلَيْهِمْ من عَدُوِّهم، وإنَّما يُنْصَرُ المسلمونَ بمَعْصِيَةِ عَدُوِّهم للّه، ولولا لمْ تكن لنا بهم قُوَّةٌ، لأنَّ عَدَدَنا ليسَ كَعَدَدهم، ولا عُدَّتُنا كعُدَّتِهِمْ، فإنِ ٱستَوينا في ٱلمَعْصِيَةِ كانَ لَهُمْ ٱلفَضْلُ علينا في القُوَّةِ، وإلاَّ نُنْصَرْ عليهم بفضلِنا لم نَغْلِبْهُمْ بقُوَّتِنا.

وٱعلموا أنَّ عَلَيْكُمْ في مَسيرِكُمْ حَفَظَةً مِنَ اللّهِ يعلمونَ ما تَفْعلونَ، فٱستَحيوا منهُمْ، ولا تَعْمَلوا بمَعاصي اللّه وأنتُم في سَبيل اللّه، ولا تقولوا إنَّ عَدُوَّنا شَرٌّ منّا فَلَنْ يُسَلَّطَ علينا وإن أسأنا، فَرُبَّ قومٍ قد سُلِّط عَلَيْهِمْ شَرٌّ مِنْهُمْ كما سُلِّطَ على بني إسرائيلَ لمّا عَمِلوا بمساخِطِ اللّهِ

---

(١) تقدّمت ترجمته في الباب الثاني.

(٢) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧.

كُفّارُ المَجوسِ ﴿فجاسُوا خِلالَ الدِّيار وكانَ وَعْداً مفعولاً﴾[1]، وٱسألوا اللَّهَ ٱلعَوْن على أنفسِكُمْ، كما تَسْألونَهُ النَّصْرَ على عَدُوِّكُمْ، أَسْألُ اللَّهَ ذلك لنا ولكم.

وترفَّقْ بالمسلمين في مَسيرهِمْ، ولا تُجَشِّمْهُمْ مَسيراً يُتْعِبُهُم، ولا تُقَصِّرْ بهم عن مَنْزِلٍ يرفُقُ بهِمْ؛ حَتّى يبلغُوا عَدُوَّهم، والسَّفَرُ لمْ ينقُصْ قُوَّتَهُمْ، فإنَّهُمْ سائِرونَ إلى عدُوٍّ مُقيمٍ حامي الأَنْفُسِ والكُراع.

وأقِمْ بمَنْ مَعَكَ في كُلِّ جُمُعَةٍ يوماً ولَيْلَةً، حتى تكون لَهُمْ راحةً يحيونَ فيها أَنْفُسَهُمْ، ويَرِمُّونَ أَسْلِحَتَهُمْ وأَمْتِعَتَهُمْ.

ونَحِّ منازِلَهُمْ عنْ قُرى أهلِ الصُّلْحِ والذِّمَّةِ، فلا يَدْخُلْها من أصحابكَ إلاَّ منْ تَثِقُ بدينهِ، ولا يَرْزَأْ أحداً من أَهْلِها شيئاً، فإنَّ لَهُمْ حُرْمَةً وذِمَّةً ٱبتُليتُمْ بالوفاء بها؛ كما ٱبتُلُوا بالصَّبْرِ عليْها، فما صَبَروا لَكُمْ فَتَولَّوهم خَيْراً، ولا تَسْتَنْصِروا على أهلِ الحربِ بظُلْمِ أَهْلِ الصُّلْحِ.

وإذا وَطِئْتَ أرْضَ العَدُوِّ؛ فأذْكِ العُيونَ بينَكَ وبينَهُمْ، ولا يخْفَ علَيْكَ أمرهُمْ.

ولْيَكُنْ عِنْدَكَ مِنَ العَرَبِ، أو مِن أهلِ الأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إلى نُصْحِهِ وصِدْقِهِ، فإنَّ الكذوبَ لا يَنْفعُكَ خَبَرُهُ وإنْ صَدَقَكَ في بَعْضِهِ، والغاشُّ عَيْنٌ عَلَيْكَ، وليس عَيْناً لَكَ.

وليَكُنْ مِنْكَ عِنْدَ دُنُوِّكَ من أَرْضِ العَدُوِّ أَنْ تُكثِرَ الطَّلائِع، وتَبُثَّ السَّرايا بينكَ وبَيْنَهُمْ، فتقطعُ السَّرايا أَمْدادَهُمْ ومَرافِقَهُمْ، وتتبَّعُ الطلائِعُ عَوْراتِهِمْ.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٥.

وٱنتَقِ للطَّلائعِ أَهْلَ الرأيِ والبأسِ مِنْ أَصْحابِك، وتخيّر لَهُمْ سَوابِقَ ٱلخَيْلِ، فإنْ لَقُوا عَدُوّاً كانَ أوّلَ ما تلقاهُمْ القُوَّةُ من رأيكَ وٱجعَلْ أمرَ السَّرايا إلى أهلِ الجهادِ، والصَّبْرِ على الجلادِ، ولا تَخُصَّ بها أَحَداً بهَوىً فيضيعَ من رأيكَ وأَمرِكَ أكثر مما حابَيْتَ بهِ أَهْلَ خاصَّتِكَ.

ولا تَبْعَثَنَّ طليعةً ولا سَرِيَّةً في وَجْهٍ تتخوَّفُ عَلَيْها فيه غَلَبَةً، أو ضَيْعَةً ونِكايةً، فإذا عايَنْتَ ٱلعَدُوَّ فاضمُمْ إليكَ أقاصِيَكَ وطلائعَكَ وسراياكَ، وٱجمَعْ إليكَ مكيدتَكَ وقُوَّتك، ثمَّ لا تُعاجِلْهُم المناجزَة ما لَمْ يستكرِهْكَ قِتالٌ، حتى تُبصِرَ عَوْرَةَ عَدُوِّكَ وَمقاتِلَهُ، وتَعرِفَ الأَرْضَ كُلَّها كَمَعْرِفَةِ أهلِها بها، فتصنَعَ بعَدُوِّكَ كَصُنعهِ بِكَ، ثُمَّ أَذْكِ أحراسَكَ على عَسْكَرِكَ، وتَيَقَّظ مِنَ ٱلبياتِ جُهْدَكَ، ولا تُؤتى بأسيرٍ ليسَ لهُ عَقْدٌ[1] إلاّ ضَرَبتَ عُنُقَهُ، لِتُرْهِبَ بِذلِكَ عَدُوَّ اللّهِ وعَدُوَّكَ، واللّهُ وليُّ أمرِكَ ومَنْ مَعَكَ، ووَليُّ النَّصْرِ لكُمْ على عَدُوِّكم، واللّهُ المستعَانُ.

★ ★ ★

(١) العقد: أي المقاتل المرتزِق.

الفصل الثالث:

وصيّته لعبيد بن مسعود الثقفي

قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يوصي أبا عبيد بن مسعود الثقفي(١) لمّا وجهه لقتال الفرس(٢):

إنّكَ تُقْدِمُ على أرضِ المكرِ والخَديعةِ، والخيانةِ والجبريّة، تَقْدمُ على قَومٍ قد جَرَؤوا على الشَّرِّ فعَلِمُوهُ، وتناسُوا الخَيرَ فَجَهِلوهُ، فانْظُر كَيْفَ تكونُ، واخزُنْ لسانَكَ، ولا تُفْشِيَنَّ سِرَّكَ، فإنّ صاحِبَ السِّرِّ مُتَحصِّنٌ لا يؤتى من وَجْهٍ يَكْرَهُهُ، وإذا ضَيَّعَهُ كانَ بِمَضْيَعَةٍ.

★ ★ ★

---

(١) هو أبو عبيد بن مسعود الثقفي (٠٠٠ ـ ١٣هـ/ ٦٣٤م)، قائد من الشجعان، أمّره عمر بن الخطاب على الجيش الزاحف إلى العراق لقتال الفرس، وهو أوّل جيش سيّره عمر. قتل في وقعة الجسر، وهو ولد المختار الثقفي. (الزركلي: الأعلام ٤/ ١٩٠).

(٢) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٢٣.

الفصل الرابع:

وصيّته ليعلى بن أميّة

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي يعلى بن أميّة(١) لما وجّهه لإجلاء أهل نجران(٢):

ائتِهِمْ، ولا تَفْتِنْهُمْ عن دِينِهِمْ، ثم أَجْلِهِمْ من أقامَ مِنْهُمْ على دينه، وأقرِرِ المُسْلِمَ، وامْسَحْ أَرْضَ كُلِّ مَنْ تُجلي مِنْهُمْ، ثمَّ خَيِّرْهُمُ البُلدانَ، وأَعْلِمْهُمْ أنّا نُجليهِمْ بأَمرِ اللّهِ ورَسولِهِ ألاّ يُتْرَكَ بجزيرَةِ العَرَبِ دينانِ، فلْيَخْرُجْ مَنْ أقامَ على دينهِ مِنْهُمْ، ثمَّ نُعْطيهمْ أَرْضاً كأرضِهِمْ إقراراً لهُمْ بالحَقِّ على أَنْفُسِنا، ووفاءً بذِمَّتِهِمْ، فيما أَمَرَ اللّهُ من ذلكَ بَدَلاً بينَهُمْ وبَيْنَ جيرانهم من أهلِ اليَمَنِ وغيرِهم فيما صارَ لجيرانهم بالريف.

★ ★ ★

---

(١) هو يعلى بن أميّة بن أبي عبيدة (واسمه عبيد، ويقال زيد) بن همام التميمي الحنظلي (٠٠٠ ـ ٣٧هـ/ ٦٥٧م) أوّل من أرّخ الكتب، صحابي من الولاة، أسلم بعد الفتح، وشهد الطائف وحنينًا وتبوك مع النبي (ﷺ)، واستعمله أبو بكر على «حلوان» في الردة، ثم استعمله عمر على «نجران» واستعمله عثمان على «اليمن»، فأقام بصنعاء، ولما قتل عثمان انضم يعلى إلى الزبير وعائشة، ثم صار من أصحاب عليّ، وقتل ـ وهو معه ـ في «صفين»، روى ٢٨ حديثًا اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة منها. (الزركلي: الأعلام ٨/ ٢٠٤).

(٢) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٢٨.

الفصل الخامس:

وصيّته لعتبة بن غزوان

قال عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه يوصي عُتْبَةَ بن غزوان[1] لما وجَّهَهُ إلى البصرة[2]:

يا عُتْبَةُ، إنِّي قَدِ استَعْمَلْتُكَ على أَرْضِ الهِنْدِ، وهي حومة من حومة ٱلعَدوِّ وأرجو أَنْ يَكْفِيَكَ اللّهُ ما حولها ويُعينَكَ عليْها، وقَدْ كَتَبْتُ إلى العلاءِ بن الحَضْرَمِيّ[3] أَنْ يُمِدَّكَ بهرثمة بن عرفجة[4]، وهُوَ ذو مُجاهَدَةٍ

---

(١) هو عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثي المازني، أبو عبد الله (٤٠ ق.هـ ـ ١٧هـ/ ٥٨٤ ـ ٦٣٨م)، باني مدينة البصرة. صحابي، قديم الإسلام. هاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً، ثم شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص، ووجّهه عمر إلى أرض البصرة والياً عليها، فاختطّها ومصّرها، وسار إلى ميسان وأبزقباذا فافتتحهما، روى عن النبي (ﷺ) أربعة أحاديث. (الزركلي: الأعلام ٤/ ٢٠١).

(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٤٨٦.

(٣) هو العلاء بن الحضرمي (.... - ٢١ هـ/ ٦٤٢م) صحابي من رجال الفتوح في صدر الإسلام ولاه رسول الله (ﷺ) البحرين سنة ٨ هـ، وجعل له جباية الصدقة، وأعطاه كتاباً فيه فرائض الصدقة في الإبل والبقر والغنم والثمار والأموال، وأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائهم ويردّها إلى فقرائهم. وبعد وفاة الرسول (ﷺ) أقره أبو بكر ثم عمر، ووجّهه عمر إلى البصرة فمات في الطريق. (الزركلي: الأعلام ٤/ ٢٤٥).

(٤) هو هرثمة بن عرفجة (.... بعد ٢٠هـ/ بعد ٦٤٠م) قائد من رجال الفتوح في صدر الإسلام من أهل البحرين. وجهه أميرها (العلاء بن الحضرمي) غازياً، ففتح جزيرة في البحر ممّا يلي فارس. ثم كتب عمر إلى العلاء بأن يمدّ به عتبة بن غزوان حين=

ومُكايَدَةٍ للعَدُوِّ، فإذا قدم عَلَيْكَ فٱستَشِرْهُ وٱدْعُ إلى اللّهِ، فَمَنْ أجابَكَ فٱقبَلْ مِنْهُ، ومَنْ أبى فالجزيةُ، وإلاّ فٱلسَّيْفُ.

وٱتَّقِ اللّهَ فيما وُلِيتَ، وإياكَ أَنْ تُنازِعَكَ نَفْسُكَ إلى كِبْرٍ مِمَّا يُفْسِدُ عَلَيْكَ إخوَتَكَ وقَدْ صَحِبْتَ رسولَ اللّهِ ﷺ، فَعُزِّزتَ به بَعْدَ الذِّلَّةِ، وقَويت به بَعْدَ الضَّعْفِ، حتى صِرْتَ أميراً مُسَلَّطاً، ومَلِكاً مُطاعاً، تقولُ فَيُسْمَعُ مِنْكَ، وتأمُرُ فَيُطاعُ أَمْرُك، فيا لَها نِعْمةً إن لَمْ تَرْفَعْكَ فوقَ قَدْرِكَ، وتُبْطِرْكَ على مَن دونَكَ.

وٱحْتَفِظْ مِنَ النِّعْمَةِ ٱحتفاظَكَ من ٱلمَعْصِيةِ، ولَهِيَ أخوفهما عِنْدي عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَدْرِجَكَ وتَخْدَعَكَ فَتَسْقُط سَقْطَةً تَصيرُ بها إلى جَهنَّمَ، أُعيذُكَ باللّهِ ونَفْسِي من ذلك.

إنَّ النَّاسَ أَسْرَعوا إلى اللّهِ حتى رُفِعَتْ لَهُمُ الدُّنيا فأرادُوها، فأَرِدِ اللّهَ ولا تُرِد الدُّنيا، وٱتَّقِ مَصارعَ الظَّالمينَ.

انطَلِقْ أنتَ ومَنْ مَعَكَ، حتى إذا كُنْتُم في أقصى أرضِ العَرَبِ وأدنى أرض ٱلعَجَمِ فأقيموا.

★ ★ ★

= غزا «الأبلة»، فشارك في فتحها. (الزركلي: الأعلام ٨/ ٨٢).

الفصل السادس:

وصيّته لأبي موسى الأشعريّ

قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه يوصي أبا موسى الأشعري[1] وقد وَجَّه إليه كتاباً[2]:

أما بعد، فإنَّ للنّاسِ نَفْرَةً عنْ سُلطانِهِمْ، فأعوذُ بِاللّهِ أَنْ تُدْرِكَني وإياكَ عُمِّيَّاءُ مَجْهولةٌ، وضَغائِنُ مَحمولةٌ، وأهواءُ مُتَّبَعَةٌ، ودُنيا مؤثِرَةٌ، فأَقِمِ الحُدودَ ولو ساعةً من نهارٍ، وإذا عَرَضَ لك أَمْرانِ أَحَدُهُما للّهِ، والآخَرُ للدُّنيا، فآثِرْ نَصيبَكَ مِنَ الآخِرَةِ على نَصيبِكَ مِنَ الدُّنيا، فإنَّ الدُّنيا تَنْفَدُ، والآخِرَةُ تَبْقى، وكُنْ مِنْ خَشيَةِ اللّهِ على وَجَلٍ، وأخِفِ الفُسّاقَ؛ وٱجعَلْهُمْ يَداً يَداً؛ ورِجْلاً رِجْلاً.

وإذا كانَتْ بَيْنَ القَبائِلِ نائِرَةٌ وتَداعَوا: يا آلَ فُلانٍ، فإنَّما تِلْكَ نَجوى

---

(١) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو موسى، من بني الأشعر، من قحطان (٢١ ق.هـ - ٤٤هـ/ ٦٠٢ - ٦٦٥م)، صحابي، من الشجعان الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما عليّ ومعاوية بعد حرب صفين. ولد في زبيد (باليمن)، وقدم مكة عند ظهور الإسلام فأسلم. ثم استعمله رسول الله (ﷺ) على زبيد وعدن. وولاّه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧ هـ، فافتتح أصبهان والأهواز، ولاه عثمان الكوفة، وأقره عليّ، ثم عزله، وكان أحسن الصحابة صوتًا في التلاوة. له ٣٥٥ حديثًا. (الزركلي: الأعلام ٤/ ١١٤).

(٢) البيان والتبيين ٢/ ٣٠١ - ٣٠٢.

الشَّيْطانِ، فٱضرِبْهُمْ بالسَّيْفِ حتى يَفيئوا إلى أمرِ اللّهِ، وتكونَ دَعْواهم إلى اللّهِ وإلى الإمامِ.

وقَدْ بَلَغَ أميرَ المؤمنينَ أَنَّ ضَبَّة تدعو: يا آلَ ضَبَّة، وإني واللّهِ ما أَعْلَمُ أَنَّ ضَبَّةَ ساقَ اللّهُ بها خَيْراً ولا مَنَعَ بها سوءاً قطُّ، فإذا جاءك كتابي هذا، فأَنهِكْهُمْ عُقوبةً حتى يَفْرَقُوا إنْ لَمْ يَفْقَهُوا، وألصِقْ بغَيلانَ بنِ خرشة[1] من بَيْنِهِمْ.

وعُدْ مرضى ٱلمُسْلمينَ، وٱشهَدْ جَنائِزَهُمْ، وٱفتَحْ بابَكَ، وباشِرْ أمْرَهُمْ بنَفْسِك، أَنْتَ ٱمْرُؤٌ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّ اللّهَ جَعَلَكَ أَثْقَلَهُمْ حِمْلاً.

وقَدْ بَلَغَ أميرَ ٱلمؤمنينَ أنَّه فشا لَكَ ولأهْلِ بَيْتِكَ هَيئَةٌ في لِباسِكَ ومَطْعَمِكَ ومَرْكَبِكَ، لَيْس للْمُسلمينَ مِثْلُها، فإياكَ يا عَبْدَ اللّهِ أن تكونَ بمَنْزِلَةِ ٱلبَهيمةِ التي مرَّت بوادٍ خَصيبٍ، فلمْ يكُنْ لها هِمَّةٌ إلاّ السِّمْنُ، وإنّما حَتْفُها في السِّمْنِ.

وٱعلَمْ أَنَّ للعاملِ مَرَدًّا إلى اللّهِ، فإذا زاغَ العاملُ زاغَتْ رَعِيَّتُه، وإنَّ أَشقى النَّاسِ مَنْ شَقِيَتْ به رَعِيَّتُه. والسلام.

★ ★ ★

وكتب إليه أيضاً يوصيه:[2]

بسم الله الرحمن الرحيم:

أمَّا بعد، فإنَّ القَضاء فَريضةٌ مُحكمةٌ، وسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، فٱفْهَمْ إذا أدْلِيَ إليك، فإنَّهُ لا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بحَقٍّ لا نَفاذَ لَهُ.

---

(١) هو غيلان بن خرشة بن عمرو بن ضرار الضبيّ من سراة أهل البصرة.
(٢) نهاية الأرب ٤/٢٥٧؛ والبيان والتبيين ٢/٤٣.

آسِ بينَ النَّاسِ في مَجْلِسِكَ ووَجْهِكَ، حتى لا يَطْمَعَ شريفٌ في حيفِكَ، ولا يخافُ ضَعيفٌ من جَوْرِكَ، والبَيِّنةُ على مَنِ ٱدَّعى، واليمينُ على من أنْكَر، والصُّلْحُ جائِزٌ بينَ ٱلمُسْلِمينَ إلاّ صُلْحاً حَرَّمَ حلالاً، أو أَحَلَّ حَراماً.

ولا يَمْنَعْكَ قَضاءٌ قَضَيْتَهُ بالأَمسِ، فراجَعْتَ فيهِ نَفْسَكَ، وهُديتَ فيه لِرُشْدِكَ، أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، فإنَّ الحقَّ قديمٌ، ومُراجَعةُ الحقِّ خَيرٌ منَ التمادي في الباطلِ.

الفَهْمَ الفَهْمَ عندما يَتَلَجْلَجُ في صَدْرِكَ مما لَمْ يبلُغْكَ في كتاب اللّهِ، ولا في سُنَّةِ النبيِّ ﷺ، اعرفِ الأَمْثالَ والأشباهَ، وقِس الأُمورَ عند ذلِكَ، ثم ٱعمدْ إلى أَحَبِّها إلى اللّهِ، وأشبهها بالحَقِّ فيما تَرَى.

وٱجْعَلْ للمدعي حقّاً غائباً أو بَيِّنَةً أَمَداً يَنْتَهي إليه، فإنْ أَحْضَرَ بيِّنةً أخَذْتَ لهُ بِحَقِّهِ، وإلاّ وَجَّهْتَ عَلَيْهِ ٱلقَضاءَ، فإنَّ ذلك أَنْقَى للشَّكِّ، وأجْلَى للعَمَى، وأبلغُ في العُذْرِ.

المسلمونَ عُدولٌ بعضُهُمْ على بَعْضٍ، إلاّ مَجْلوداً في حَدٍّ، أو مُجَرَّباً عليهِ شهادَةَ زورٍ، أو ظنيناً في ولاءٍ أو قرابةٍ، فإنَّ اللّهَ قد تَوَلّى مِنْكُمُ السَّرائِرَ، وَدَرأَ عنكُمْ بالشُّبهاتِ.

ثمَّ إياكَ والقَلَقَ والضَّجَرَ، والتَّأذي بالناسِ، وٱلتنكُّر للخُصوم في مواطِنِ الحقِّ التي يوجِبُ اللّهُ بها الأَجْرَ، ويُحْسِنُ بها الذُّخر فإنَّهُ مَنْ يُخلِصْ نِيَّتَهُ فيما بينَهُ وبينَ اللّهِ تبارَكَ وتعالى ولو على نَفْسِهِ، يكْفِهِ اللّهُ ما بينَهُ وبينَ النَّاسِ، ومَنْ تَزَيَّنَ للناسِ بما يَعْلَمُ اللّهُ خِلافَهُ مِنْهُ، هَتَكَ سِتْرَهُ، وأبدى فِعلَهُ. والسلام عليك.

★ ★ ★

الفصل السابع:

وصيّته للأحنف بن قيس

قال عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه يوصي الأحنف بن قيس(١):

يا أَحْنَفُ، مَنْ كَثُرَ ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، ومَنْ مَزَحَ ٱستُخِفَّ به، ومَنْ أكثَر من شيءٍ عُرِفَ به، ومَنْ كَثُرَ كلامُه كَثُرَ سَقَطُهُ، ومَنْ كثُر سَقَطُهُ قَلَّ حَياؤهُ، ومَنْ قلّ حَياؤُهُ قلَّ وَرَعُهُ، ومَنْ قَلَّ وَرَعُهُ ماتَ قَلْبُهُ(٢).

★ ★ ★

---

(١) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرّي السعدي المنقريّ التميميّ، أبو بحر (٣ ق.هـ ـ ٧٢هـ / ٦١٩ ـ ٦٩١م) سيّد تميم، يضرب به المثل في الحلم، ولد في البصرة، وشهد الفتوح في خراسان، وولي خراسان، وكان صديقاً لمصعب بن الزبير (أمير العراق) فوفد عليه بالكوفة فتوفي فيها وهو عنده. (الزركلي: الأعلام ١/ ٢٧٦).

(٢) لباب الآداب ص١٧.

الفصل الثامن:

وصيّته لابنه عبد اللّه

قال عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه يوصي ابنه عبد اللّه[1]، وقد كتبها إليه في غيبة غابها[2]:

أمّا بعد، فإنَّهُ مَنِ اتَّقَى اللّهَ وقاهُ، ومَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفاهُ، ومَنْ شكر لَهُ زادَهُ ومَنْ أَقْرَضَهُ جَزاهُ، فاجعَلِ التَّقْوى جِلاءَ بَصَرِكَ، وعِماد ظَهْرِكَ، فإنَّه لا عَمَلَ لِمَنْ لا نِيَّةَ لَهُ، ولا أَجْرَ لِمَنْ لا حَسَنَةَ لَهُ، ولا جَديدَ لِمَنْ لا خَلَقَ له.

★ ★ ★

وقال أيضاً يوصيه عند موته[3]:

عليك بِخِصالِ الإيمانِ. قال: وما هُنَّ يا أَبَه؟ قال:

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدويّ، أبو عبد الرحمن (١٠ ق هـ - ٧٣ هـ / ٦١٣ - ٦٩٢م)، صحابي نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها. غزا افريقية مرّتين: الأولى مع ابن أبي سرح، والثانية مع معاوية بن حديج سنة ٣٤هـ. وكفّ بصره في آخر حياته، له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثًا (الزركلي: الأعلام ٤/١٠٨).

(٢) أمالي القالي ٢/٥٥.

(٣) لباب الآداب ص٢١.

الصَّوْمُ في شِدَّةِ أيَّامِ الصَّيْفِ، وقِتالُ الأَعْداءِ بالسَّيْفِ، والصَّبْرُ عَلى المُصيبَةِ، وإسباغُ الوُضوءِ في ٱليومِ الشَّاتي، وتَعجيلُ الصَّلاة في يومِ الغَيْمِ، وتَرْكُ رَدغَةِ الخَبالِ، قال: وما رَدْغَةُ الخَبالِ؟ قال: شربُ الخمرِ. وقال:

إذا قُبِضْتُ فَغَمِّضْني، وٱقتَصِدْ في ٱلكَفَنِ، ولا تُخرِجَنَّ ٱمرأةً، ولا تُزَكوني بما لَيْسَ فيَّ، فإنَّ اللّهَ تعالى هُوَ أَعْلَمُ بي، وأسرِعوا بي في المَشي، فإنَّه إنْ كانَ لي عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ قَدَّمْتُموني إلى ما هُوَ خَيْرٌ لي، وإن كُنْتُ على غَيْرِ ذلكَ كنتُم قد ألقَيْتُم عَنْ رِقابِكُمْ شَرّاً تَحمِلونَهُ.

★ ★ ★

الفصل التاسع:

وصيّته للخليفة من بعده

قال عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، يُوصي الخليفة من بعده[1]:

أُوصِيْكَ بتَقْوى اللّهِ لا شريكَ لهُ، وأوصيْكَ بالمُهاجرينَ الأوَّلينَ خَيْراً، أَنْ تَعْرِفَ لَهُمْ سابِقَتَهُمْ، وأوصيْكَ بالأنْصارِ خَيْراً، فاقبَلْ من مُحْسِنِهِمْ، وتجاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ.

وأوصيكَ بأهْلِ الأمْصارِ خَيراً، فإنَّهُمْ رِدْءُ العَدُوِّ، وجُباةُ الأَمْوالِ والفَيءِ، لا تَحْمِلْ فَيْئَهُمْ إلاّ عَنْ فَضْلٍ مِنْهُمْ.

وأوصيكَ بأَهْلِ الباديةِ خَيْراً، فإنَّهُمْ أَصْلُ العَرَبِ ومادّةُ الإسلامِ، أَنْ تأخُذَ من حواشي أموالِ أغنيائِهِمْ فَتُرَدَّ على فُقَرائِهِمْ.

وأوصيكَ بأهلِ الذِّمَّةِ خيراً، أَنْ تُقاتِلَ من ورائهم، ولا تُكَلِّفُهُمْ فوق طاقَتِهِمْ إذا أدّوا ما عَلَيْهِمْ طَوْعاً؛ أو عَنْ يَدٍ وهُمْ صاغِرونَ.

وأوصيكَ بتقوى اللّهِ، وشدَّةِ الحَذَرِ منه، ومَخَافةِ مَقْتِهِ، أنْ يطَّلِعَ مِنْكَ على رِيبةٍ، وأوصيكَ أنْ تَخْشى اللّهَ في النَّاسِ، وتَخْشى الناسَ في اللّهِ.

وأوصيكَ بالعَدْلِ في الرَّعِيّةِ، والتَّفَرُّغِ لحوائِجِهم وثُغورِهِمْ، ولا تُؤْثِرْ

---

(١) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٦٥.

غَنِيِّهُمْ على فقيرهِمْ، فإنَّ ذلك - بإذْنِ اللّهِ - سلامَةٌ لقَلْبِكَ، وحَظٌّ لِوِزْرِكَ، وخَيْرٌ في عاقِبَةِ أمرِكَ، حتى تُفْضِيَ من ذلك إلى مَنْ يعْرِفُ سريرَتَكَ، ويَحولُ بينَكَ وبينَ قلْبِكَ.

وآمُرُكَ أَنْ تَشْتَدَّ في أمرِ اللّهِ، وفي حُدوده، ومعاصيه على قريبِ الناسِ وبعيدهِمْ، ثمَّ لا تأخُذْكَ في أَحَدٍ الرأفةُ حتى تَنْتَهِكَ مِنْهُ مِثْلَما انتَهَكَ من حُرْمَةِ اللّهِ، وأجْعَلِ الناسَ سواءً عندك، لا تُبالِ على مَنْ وَجَبَ الحقُّ ولا تأخُذْكَ في اللّهِ لومَةُ لائمٍ.

وإياكَ والأَثَرَةَ والمحاباةَ[1]؛ فيما وَلاَّكَ اللّهُ ممَّا أفاءَ اللّهُ على المُؤْمِنينَ، فَتَجُورُ وتَظْلِمُ، وتحرِمُ نَفْسَكَ من ذلكَ ما قَدْ وَسَّعَهُ اللّهُ عَلَيْكَ، وقدْ أَصْبَحْتَ بِمَنْزِلَةٍ من مَنازِلِ الدُّنيا والآخرةِ، وأنت إلى الآخِرَةِ أقربُ، فإنِ ٱقْتَرَفْتَ لِدُنياكَ عَدْلاً وعِفَّةً عَمَّا بسَط اللّهُ لكَ، ٱقتَرَفْتَ به سُخْطَ اللّهِ ومعاصيهِ.

وأوصيكَ ألاَّ تُرَخِّصَ لِنَفْسِكَ، ولا لِغَيْرِكَ في ظُلْمِ أهلِ الذِّمَّةِ، وقَدْ أوْصَيْتُكَ وحَضَضْتُكَ، ونَصَحْتُ لَكَ، أبتغي بذلك وَجْهَ اللّهِ والدارَ الآخِرَةَ، وٱخْتَرْتُ من دِلالَتِكَ ما كُنْتُ دالاًّ علَيْهِ نَفْسي ووَلدي، فإنْ عَمِلْتَ بالذي وَعَظْتُكَ؛ وٱنتَهَيْتَ إلى الذي أَمَرْتُكَ أَخَذْتَ به نَصيباً وافِياً، وحَظّاً وافِراً، وإن لمْ تَقْبَلْ ذلِكَ؛ ولم يَهمّكَ؛ ولم تُنْزِلْ معاظِمَ الأُمورِ عند الذي يَرْضى اللّهُ به عَنْكَ، يكُنْ ذلك بكَ ٱنتِقاصاً، ورأيُكَ فيه مَدْخولاً، لأَنَّ الأَهواءَ مُشْتَرَكَةٌ، ورأسُ كُلِّ خَطيئةٍ، والداعي إلى كُلِّ هُلْكَةٍ إبليسُ، وقدْ أضلَّ القُرون السَّالِفَةَ قَبْلَكَ، فأورَدَهُم النارَ، ولَبِئْسَ الثَّمَنُ أَنْ يكونَ حَظُّ ٱمرِئٍ مُوالاةً لعَدُوِّ اللّهِ، والدَّاعي الى معاصيه.

---

(١) الأثرة: الأنانية. المحاباة: عدم العدل في المعالجة.

ثُمَّ ٱركَبِ ٱلحقَّ، وخُضْ إليهِ الغَمَراتِ، وكُنْ واعِظاً لِنَفْسِكَ، وأنْشُدُكَ اللّهَ لما تَرَحَّمْتَ على جماعَةِ ٱلمُسْلِمينَ، فأجْلَلْتَ كَبيرَهُمْ، ورَحِمْتَ صغيرَهُمْ، ووَقَّرْتَ عالِمَهُمْ، ولا تَضْرِبهُمْ فيَذُلّوا، ولا تستأثِرْ عَلَيْهم بالفيءِ فتُغْضِبَهُمْ، ولا تَحْرُمْهُمْ عطاياهُمْ عِنْدَ مَحَلِّها فَتُفْقِرَهُمْ، ولا تُجَمِّرْهُمْ في البُعوثِ(١)، فَتَقْطَعَ نَسْلَهُمْ ولا تَجْعَلِ المالَ دُولةً بينَ الأغنياء مِنْهُم(٢)، ولا تَغْلَقْ بابَكَ دونَهُمْ فيأكُلَ قويُّهُمْ ضعيفَهمْ.

هذه وَصيَّتي إياكَ، وأُشهِدُ اللّهَ عَلَيْكَ، وأقرأُ علَيْكَ السلامَ.

★ ★ ★

(١) أي لا تطل فترة إرسالهم في الغزاة.

(٢) أي لا تجعله وقفاً على الأغنياء.

الفصل العاشر:

وصايا متفرّقة لعمر بن الخطّاب

قال عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه يوصي[1]:

مَنْ عرَّضَ نَفْسَهُ للتُّهَمَةِ فلا يلومَنَّ مَنْ أساء به الظَّن، ومَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كانَتِ الخِيرَة بيَدِهِ. وضَعْ أمرَ أخيكَ على أحْسَنهِ حتى يأتِيَكَ ما يغلِبُكَ عليه، ولا تظنَّنَّ بكَلِمَةٍ خرَجَتْ من أمريءٍ مُسلِمٍ شرّاً، وأنت تَجِدُ لها في الخير مَخْرجاً.

وعَلَيكَ بإخوانِ الصِّدق، فكِسْ في أكتِسابِهِمْ، فإنّه زينَةٌ في الرَّخاء، عُدَّةٌ في البَلاء ولا تَهاوَنْ في الحَلِفِ بالله فيَهينَكَ.

وعَلَيْك بالصِّدْقِ ولو قَتَلَكَ، ولا تَعْتَزِ إلى مَنْ لا يُغْنيك، وأعْتَزِلْ عَدُوَّكَ، وأحذَرْ صَدِيقَكَ إلاّ الأمينَ، والأمينُ مَنْ خَشِيَ الله تعالى.

ولا تَصْحَبِ الفاجِرَ فتَتَعَلَّم من فُجورِهِ، ولا تُطلِعْهُ على سِرِّكَ فيَفْضَحكَ وتَخشّع عِنْدَ القُبورِ، وآخِ الإخوانَ على قَدْرِ التَّقوى، ولا تَسْتَعِنْ على حاجَتِكَ منْ لا يُحِبُّ نَجاحها لَكَ، وشاوِرْ في أمرِكَ الذينَ يَخافونَ الله عزّ وجَلّ.

★ ★ ★

---

(١) لباب الآداب ص١٢.

وقال يعِظ رَجلاً[1]:

لا يُلْهِكَ النَّاسُ عَنْ نَفْسِك، فإنَّ الأمْرَ يصيرُ إليكَ دونَهُمْ، ولا تَقْطَعِ النَّهارَ سادِراً، فإنَّهُ مَحفوظٌ عَلَيْكَ ما عَمِلْتَ، وإذا أسأْتَ فأحْسِن، فإنّي لم أرَ شيئاً أَشدَّ طَلَباً، ولا أسْرَعَ دَرَكاً مِنْ حَسَنَةٍ حَديثَةٍ لِذَنْبٍ قَديمٍ.

★ ★ ★

وقال يوصي[2]:

أدِّبوا الخَيْلَ، وتَسَوَّكوا، واقْعُدوا في الشَّمسِ، ولا تُجاوِرَنَّكُمُ الخَنازيرُ، ولا يُرفَعَنَّ فيكُمُ الصَّليبُ، ولا تأكُلوا على مائدَةٍ تُشرَبُ عليها الخمرُ، وإيّاكمْ وأخلاقَ العَجَمِ، ولا يَحِلُّ لمؤمِنٍ أنْ يَدْخُلَ الحمَّامَ إلاّ بِمِئزَرٍ، ولا امرأةٍ إلاّ من سُقْمٍ، فإنَّ عائِشَةَ رضي الله تعالى عنها حدَّثتني قالت: حدّثني خليلي على مفْرَشي هذا قال: إذا وَضَعَتِ المرأةُ خِمارَها في غير بيتِ زوجها هَتكَتْ ما بينَها وبينَ الله.

★ ★ ★

وقال عمر يوصي[3]:

اقرأوا القُرآنَ تُعْرَفُوا به، واعملوا به تكونوا مِنْ أهْلِه، ولَنْ يَبْلُغَ حَقُّ ذي حَقٍّ أنْ يطاعَ في مَعْصِيَةِ الله، ولَنْ يُقَرِّبَ مِنْ أجَلٍ، ولَنْ يُباعِدَ مِنْ رِزْقٍ، أنْ يقومَ رَجُلٌ بحَقٍّ أو يُذَكِّرَ بعظيمٍ.

★ ★ ★

---

(١) البيان والتبيين ٣/١٢٨.
(٢) البيان والتبيين ٢/١٧٢.
(٣) البيان والتبيين ٢/٦٦.

وقال يوصي[1]:

كُونوا أوعيَةَ الكِتاب، ويَنابيعَ العِلْمِ، وسَلوا الله رِزْقَ يوم بيومٍ، ولا يضيرُكُمْ أَنْ لا يُكثِرَ لَكُمْ.

★ ★ ★

وقال يوصي[2]:

لا تَعْتَرِضْ فيما لا يعنيكَ، وٱعتَزِلْ عَدُوَّكَ، وٱحتَفِظْ من خَليلِكَ إلاّ الأمينَ، فإنَّ الأمين مِنَ القومِ لا يُعادِله شيءٌ، ولا تَصْحَب ٱلفاجِرَ فَيُعَلِّمَكَ من فُجورِه، ولا تُفْشي إليه سِرَّكَ، وٱستَشِرْ في أمرِكَ الذينَ يَخْشونَ الله عَزَّ وَجَلَّ.

★ ★ ★

وقال يوصي المجاهدين عند عَقْد الألوِيَةِ[3]:

بسم الله، وبالله، وعلى عَوْنِ الله، امْضُوا بتأييدِ الله، ﴿وما النَّصْرُ إلاّ من عِنْدِ الله﴾[4]، ولُزومِ الحَقِّ والصَّبْرِ، فقاتِلُوا في سَبيلِ الله مَنْ كَفَرَ بألله، ﴿ولا تَعْتَدوا إنَّ الله لا يُحِبُّ المُعْتَدين﴾[5]، ولا تَجْبُنُوا عِنْدَ اللقاءِ، ولا تمثِّلُوا عِنْدَ القُدرَةِ، ولا تُسْرِفوا عِنْدَ الظُّهورِ، ولا تَقْتُلُوا هَرماً، ولا ٱمرأةً، ولا وَليداً وتوقُّوا قَتْلَهُمْ إذا ٱلتقى الزَّحْفانِ، وعِنْدَ حُمَّةِ النَّهَضاتِ، وفي شَنِّ الغاراتِ.

★ ★ ★

(١) البيان والتبيين ٢/ ٣١٣. .
(٢) حلية الأولياء ١/ ٥٥.
(٣) العقد الفريد ١/ ١٢٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٢٦.
(٥) سورة المائدة، الآية ٨٧.

الباب الرابع:

وصايا الإمام عليّ بن أبي طالب

الفصل الأوَّل:

ترجمته

عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب الهاشميّ القرشي (٢٣ق.هـ - ٤٠هـ/ ٦٠٠ - ٦٦١م)، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشّرين، وابن عم النبي (ﷺ) وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأوّل الناس إسلاماً بعد خديجة. ولد بمكة، وربي في حجر النبي (ﷺ) ولم يفارقه. وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد. ولما آخى النبي (ﷺ) بين أصحابه قال له: أنت أخي. وولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفّان (سنة ٣٥هـ) فقام بعض أكابر الصحابة يطلبون القبض على قتلة عثمان لقتلهم، وتوقّى عليٌّ الفتنة، فتريَّث، فغضبت عائشة وقام معها جمع كبير في مقدمتهم طلحة والزبير، وقاتلوا عليًّا، فكانت وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ وظفر عليّ بعد أن بلغت قتلى الفريقين عشرة آلاف. ثم كانت وقعة صفين (سنة ٣٧هـ)، وخلاصة خبرها أن عليّاً عزل معاوية من ولاية الشام، يوم ولي الخلافة، فعصاه معاوية، فاقتتلا مئة وعشرة أيام، قتل فيها من الفريقين سبعون ألفًا، وانتهت بتحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص، فاتّفقا سرّاً على خلع عليّ ومعاوية، وأعلن أبو موسى ذلك، وخالفه عمرو فأقرّ معاوية، فافترق الملسمون ثلاثة أقسام: الأوّل بايع لمعاوية، وهم أهل الشام، والثاني حافظ على بيعته

لعليّ، وهم أهل الكوفة، والثالث اعتزلهما ونقم على عليّ رضاه بالتحكيم. وكانت وقعة النهروان (سنة ٣٨هـ) بين عليّ وأباة التحكيم، وكانوا قد كفّروا عليّاً ودعوه إلى التوبة، واجتمعوا جمهرة، فقاتلهم، فقُتلوا كلهم وكانوا ألفاً وثمانيمئة، فيهم جماعة من خيار الصحابة. وأقام عليّ بالكوفة (دار خلافته) إلى أن قتله عبدالرحمن بن ملجم المرادي غيلة في مؤامرة ١٧ رمضان المشهورة. روى عن النّبيّ (ﷺ) ٥٨٦ حديثاً. وكان نقش خاتمه «الله الملك»، وجمعت خطبه وأقواله ورسائله في كتاب سمّي «نهج البلاغة». ولأكثر الباحثين شكّ في نسبته كله إليه. أما ما يرويه أصحاب الأقاصيص من شعره وما جمعوه وسمّوه «ديوان عليّ بن أبي طالب» فمعظمه أو كلّه مدسوس عليه[1].

★ ★ ★

---

(١) الزركلي: الأعلام ٤/ ٢٩٥ - ٢٩٦.

الفصل الثاني:

من وصاياه لابنه الحسن

قال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي ابنه الحسن(١) رضي الله عنه(٢):

هذا ما أوصىٰ به عليّ بن أبي طالب، أوصى أنَّه يشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ لهُ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورَسوله، وأنَّ السَّاعَةَ آتِيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ اللهَ يبعثُ مَنْ في القبورِ، ثم ﴿إنَّ صَلاتي ونُسُكي ومَحيايَ ومَماتي للهِ رَبِّ العالمينَ، لا شَريكَ لهُ، وبذلك أُمِرْتُ وأنا أوّل المسلمينَ﴾(٣).

وإنّي أوصيكَ يا حَسَنُ، وجميعَ ولدي، ومَنْ بَلَغَهُ كِتابي هذا بتقوىٰ اللهِ رَبِّكُمْ، ﴿ولا تموتُنَّ إلاّ وأنتُمْ مُسْلِمونَ ☆ وٱعتَصِموا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً

(١) هو الحسن بن عليّ بن أبي طالب الهاشميّ القرشيّ (٣ - ٥٠هـ/ ٦٢٤ - ٦٧٠م)، خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، ولد في المدينة المنوّرة، وأمّه فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ)، وهو أكبر أولادها وأوّلهم، كان عاقلاً حليماً محبّاً للخير، فصيحاً من أحسن الناس منطقاً وبديهة. بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠هـ، ثم خلع نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية في بيت المقدس سنة ٤١هـ، وانصرف الحسن إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفي فيها (الزركلي: الأعلام ٣/ ٢٠٠).

(٢) المعمرون ص١٥٠ - ١٥١.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٦٣.

ولا تَفرَّقُوا﴾[1]، فإنّي سَمِعْتُ حَبيبي رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: صَلاحُ ذاتِ ٱلبَيْنِ أَفْضَلُ من عامِ الصِّيامِ والصَّلاةِ».

انظُروا ذوي أرحامِكُمْ فَصِلوهُمْ يُهَوِّنِ اللهُ عَلَيْكُمُ الحساب، والله الله في الأيتامِ، فلا تُغَيِّرُنَّ أفواهَهُمْ بحَضْرَتِكُمْ، والله اللهَ في الضَّعيفينَ، فإنَّ آخِرَ ما تكلَّم به رسولُ اللهِ ﷺ أنْ قال: «أوصيكُمْ بالضعيفينَ خيراً»، واللهَ اللهَ في القرآنِ، فلا يسبِقكُمْ بٱلعَمَلِ به غيرُكُمْ، والله اللهَ في الصَلاةِ، فإنّها عمودُ دينِكُمْ، والله الله في الزكاةِ فإنّها تُطْفِىءُ غضَبَ ربِّكُمْ عَنْكُمْ، والله اللهَ في صِيامِ رَمَضانَ فإنَّ صيامَهُ جُنَّةٌ لكُمْ من النَّارِ، والله الله في الحجِّ فإنَّ بَيْتَ اللهِ إذا خَلا لَمْ تُناظَروا، والله اللهَ في الفُقراء والمساكينِ، فشارِكوهم في معايشِكُم وأموالِكُمْ.

عليكُم يا بَنِيَّ بالبِرِّ والتَّواصُلِ والتَّبارِّ، وإياكم والتَّقاطُعَ والتَّدابُرَ والتَّفَرُّقَ: **﴿وتعاوَنوا على البرِّ والتَّقوىٰ ولا تعاوَنُوا على الإثمِ والعُدوان﴾**[2]، حَفِظَكُمُ اللهُ من أهلِ بَيْتٍ، وحَفِظَ فيكُمْ نَبيَّكُمْ، ﷺ.

★ ★ ★

وقال له في وصيّة أخرى[3]:

هذا ما أوصىٰ به أميرُ المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب، أوصىٰ أنّه يَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بالهدىٰ ودينِ الحَقِّ ليُظهِرَهُ علىٰ الدّينِ كُلِّهِ ولو كَرِهَ ٱلمشركونَ، **﴿إنَّ صلاتي ونُسُكي ومَحْيايَ ومَماتي للهِ رَبِّ العالمينَ لا شريكَ لهُ، وبذلك**

(١) سورة آل عمران، الآيات ١٠٢ - ١٠٣.
(٢) سورة المائدة، الآية ٢.
(٣) مقاتل الطالبيين ص٢٥ - ٢٦.

أمِرْتُ وأنا أوّل المسلمين.

أوصيكَ يا حَسَنُ وجَميعَ وأَهْلَ بيْتي، ومَنْ بَلَغَهُ كتابي هذا بتَقوىٰ اللهِ ربِّنا، ﴿ولا تَمُوتُنَّ إلاّ وأنتُم مُسلمونَ، وٱعتَصِموا بحَبْلِ اللهِ جميعاً ولا تَفَرَّقُوا﴾[1] فإني سمِعْتُ رسول اللهِ ﷺ يقول: «صلاحُ ذاتِ ٱلبينِ أَفْضَلُ من عامة الصلاة والصِّيام» وأنَّ المبيرةَ الحالقةَ للدِّين فَسادُ ذاتِ البينِ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ بِاللهِ العليّ العظيم.

انظروا ذوي أرحامِكُمْ فَصِلوهُمْ يُهَوِّنِ اللهُ عليكُمُ الحِسابَ، اللهَ اللهَ في الأيتام، فلا تغبّوا أفواهَهُم[2]، ولا يضيعوا بحَضْرَتِكُمْ، واللهَ اللهَ في جيرانِكُمْ، فإنها وصيّة رسولِ اللهِ ﷺ، ما زال يوصينا بها حتىٰ ظنَنّا أنّه سيُوَرِّثُهُمْ، والله اللهَ في القرآنِ فلا يَسْبِقكم إلىٰ ٱلعَمَل به غيرُكُمْ، واللهَ اللهَ في الصَّلاةِ، فإنَّها عمادُ دينِكُمْ، واللهَ اللهَ في بيتِ ربِّكُمْ، فلا يخلو منكُمْ ما بقيتُم، فإنّه إنْ تُرِكَ لَمْ تُناظَروا، وإنّه إنْ خَلا منكُمْ لَمْ تُنْظَروا، واللهَ اللهَ في صيامِ شَهْرِ رَمضانَ، فإنَّه جُنَّةٌ من ٱلنارِ، واللهَ اللهَ في الجهادِ في سبيلِ اللهِ بأموالِكُمْ وأنفُسِكُمْ، واللهَ اللهَ في زكاةِ أموالِكُمْ، فإنَّها تُطفِئُ غَضَب ربِّكُمْ، واللهَ اللهَ في ذُرِّيَّةِ نبيِّكُمْ، فلا يُظْلَمُنَّ بينَ أظهُرِكُمْ، واللهَ اللهَ في أصحابِ نبيِّكُمْ، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أوْصى بهمْ، واللهَ اللهَ في الفقراء والمساكين، فأشرِكوهم في معايشكم، والله اللهَ فيما مَلَكَتْ أيمانُكُمْ، ثم قال: الصَّلاةَ الصَّلاةَ، لا تخافوا في اللهِ لَوْمَةَ لائمٍ، فإنَّه يكفيكُمْ مَنْ بغىٰ عليكم؛ وأرادكُمْ بسوءٍ. قولوا للنّاسِ حُسناً كما أمَرَكُمْ اللهُ، ولا تَتْركوا الأمرَ بالمعروفِ، والنَّهْيَ عنِ المنكَرِ، فتولّىٰ الأمر غيركم، وتَدعُونَ فلا يُسْتَجابُ لكُمْ.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٢) أي لا تعطوهم يوماً وتحرموهم آخر.

عليكُمْ بالتَّواضُعِ والتباذُلِ، وإيّاكُمْ والتّقاطُعَ والتَّفَرُّقَ والتّدابُرَ، ﴿تعاوَنوا على البرِّ والتَّقوىٰ، ولا تعاوَنوا علىٰ الإثمِ والعُدوانِ واتّقوا اللهَ إنَّ اللهَ شديدُ العقابِ﴾[1] حفظكُمُ اللهُ من أَهْلِ بيتٍ، وحَفِظَ فيكُمْ نبيَّهُ ﷺ، أستودِعكُمُ اللهَ خَيْرَ مُسْتَودَعٍ، وأقرأ عليكم سلامَ اللهِ ورحمته.

★ ★ ★

وقال له في وصيّة أخرى:[2]

يا بُنَيَّ، فإنَّ فيما تَفَكَّرتُ فيه من إدبارِ الدُّنيا عنِّي، وإقبالِ الآخرةِ إليَّ، وجموحِ الدهرِ عليَّ ما يُرَغِّبُني عنْ ذكرِ سِوايَ، والاهتمام بما ورائي، غيرَ أنَّه حينَ تَفَرَّدَ بي هَمُّ نَفْسي دونَ هَمِّ الناسِ، فصدقني رأيي، وصَرَفني عَن هواي، وصرَّحَ بي مَحْضُ أمري، فأفضىٰ بي إلىٰ جدٍّ لا يَزري به لعِبٌ، وصِدْقٍ لا يشوبُه كَذِبٌ، ووَجَدْتُكَ يا بُنَيَّ بَعْضي، بل وجدَتُكَ كُلّي، حتىٰ كأنَّ شيئاً لو أصابَكَ لأصابني، وحتىٰ كأنَّ الموتَ لو أتاكَ أتاني، فعِنْد ذلكَ عناني من أمرِكَ ما عَناني من أمرِ نَفْسي، كتبتُ إليكَ كتابي هذا يا بُنَيَّ مُسْتَظهراً به إنْ أنا بقيتُ لك أو فنِيتُ، فإني موصيكَ بتقوى اللهِ وعِمارَةِ قلبِكَ بذِكْرِهِ، والاعتصامِ بحَبْلِهِ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ يقول: ﴿وٱعتَصِموا بحَبْلِ اللهِ جميعاً ولا تَفَرَّقوا وٱذكُروا نِعمةَ اللهِ عليكُمْ إذ كُنْتُم أعداءً فألَّفَ بينَ قُلوبكُمْ فأصبَحْتُمْ بنِعْمَتِهِ إخواناً﴾[3].

وأيُّ سببٍ يا بُنَيَّ أوثقُ من سَببٍ بينَكَ وبينَ اللهِ تعالىَ إن أنتَ أخذتَ

(١) سورة المائدة، الآية ٢.
(٢) العقد الفريد ٣/ ١٥٥ - ١٥٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

به. أحْيِ قلبَكَ بالمَوعِظَةِ، ونوِّرْهُ بالحكمةِ، وأمِّتْهُ بالزُّهْدِ، وذَلِّلْهُ بالموتِ، وقَوِّهِ بالغِنى عَنِ النَّاسِ، وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدهرِ، وتَقَلُّبَ الأيامِ والليالي، وأعرِضْ عَلَيْهِ أخبارَ الصِّينِ وسِرْ في ديارهم وآثارِهِمْ فٱنظُرْ ما فَعلوه وأينَ حَلّوا، فإنَّكَ تَجِدهم قد ٱنتقلوا عَنْ دارِ الأَحِبَّةِ ونزلوا دارَ الغُربةِ، وكأنَّكَ عن قليل يا بُنَيَّ قد صِرْتَ كأحدهم، فبِعْ دنياكَ بآخِرَتِكَ، ولا تَبِعْ آخِرَتِكَ بدنياكَ، ودَعِ القوْلَ فيما لا تَعْرِفُ، والأمرَ فيما تكلَّفُ، وأمُرْ بٱلمعروفِ بيَدِكَ ولِسانِكَ، وٱنْهَ عنِ المنكَرِ بيدِكَ ولِسانِكَ، وبايِنْ من فَعَلَهُ، وخُضِ الغَمَراتِ للحقِّ، ولا تأخذْكَ في اللهِ لومةُ لائمٍ.

واحفَظ وصيَّتي، ولا تذهَبْ عَنْكَ صَفْحاً، فلا خَيْرَ في عِلْمٍ لا يَنْفَعُ.

وٱعْلَمْ أنَّ أمامَكَ طريقاً ذا مسافةٍ بعيدَةٍ، ومَشقَّةٍ شديدةٍ، وأنَّه لا غِنىً لك فيه عَنْ حُسْنِ الارتيادِ، مع بلاغِكَ من الزَّادِ، فإنْ أَصَبْتَ من أَهْلِ ٱلفاقةِ مَنْ يحمِلُ عَنْكَ زادَكَ، فيُوافيكَ به في معادِكَ فاغتنِمهُ، فإنَّ أمامَكَ عَقَبَةً كؤوداً، لا يُجاوِزُها إلاَّ أخَفُّ الناسِ حِمْلاً، فأَجمِلْ في الطَّلَبِ، وأَحْسِنِ المكتَسَبِ، فرُبَّ طَلَبٍ قد جَرَّ إلىٰ حَرْبٍ، وإنَّما المحروبُ من حُرِبَ دينُه والمسلوبُ مَنْ سُلِبَ يقينُه، وٱعلَمْ أنَّه لا غِنىً يعدِلُ الجنَّةَ، ولا فَقْرَ يعدِلُ النارَ. والسلامُ عليك ورحمةُ اللهِ وبركاته.

★ ★ ★

وقال له في وصيَّة أخرى(١):

يا بُنَيَّ، ٱحْفَظْ عَنّي أربعاً وأربعاً، لا يَضُرُّكَ ما عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: أغْنىٰ

---

(١) نهج البلاغة ٤/١١.

الغِنىٰ ٱلعَقْلُ، وأكبرُ الفَقْرِ الحُمْقُ، وأوحَشُ الوَحْشَةِ العُجْبُ، وأكرمُ الحَسَنِ حُسْنُ الخُلُقِ.

يا بُنَيَّ، إياكَ ومُصادَقَةَ الأَحْمَقِ، فإنَّه يُريدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ، وإيَّاكَ ومُصادَقَةَ البَخيل، فإنَّهُ يبعِدُ عنْكَ أحْوَجَ ما تكونُ إليهِ، وإيّاك ومُصادَقَةَ الفاجِرِ، فإنَّه يَبيعُكَ بالتَّافِهِ، وإيَّاكَ ومُصادَقَةَ الكذَّاب، فإنَّه كالسَّرابِ، يُقرِّبُ عَلَيْكَ البَعِيدَ، ويُبْعِدُ عليْكَ القريبَ.

★ ★ ★

وقال له في وصيّة أخرى(١).

لا تَدعُوَنَّ أَحَداً إلىٰ المبارَزَةِ، وإنْ دُعِيتَ إليها فأجِبْ، فإنَّ الداعِيَ إليها باغٍ والباغي مَصْروعٌ.

★ ★ ★

وقال له يوصيه، وكان ذلك عند منصرفه من صفِّين(٢):

منَ الوالدِ الفاني، المقِرِّ للزَّمان، المُدْبِر العُمُرِ ٱلمُسْتَسْلِمِ للدَّهرِ، الذّامِّ للدُّنيا، السَّاكِنِ مساكن الموتىٰ، والظاعِنِ عَنْها غداً، إلىٰ المولودِ المؤمِّلِ ما لا يُدْرَك، السَّالِكِ سبيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الأَسقامِ، ورَهينَةِ الأَيّامِ ورَمِيَّةِ المصائبِ، وعَبْدِ الدُّنيا، وتاجِرِ الغُرورِ، وغَريمِ المنايا، وأسيرِ الموتِ، وحليفِ الهُمومِ، وقرينِ الأَحزانِ، ونُصْب الآفاتِ، وصَريعِ الشَّهواتِ، وخَليفة الأمواتِ.

أمَّا بَعْدُ: فإنَّ فيما تَبيَّنْتُ من إدبارِ الدُّنيا عَنِّي، وجُموح الدَّهرِ عليَّ،

---

(١) العقد الفريد ١/ ١٠٢.

(٢) نهج البلاغة ٣/ ٤٢ - ٦٤.

وإقبالِ الآخِرَةِ إليَّ ما يُرَغِّبُني عَن ذِكْرِ مَنْ سوايَ، والاهتمامِ بما ورائي، غَيْرَ أنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بي - دونَ هُمومِ الناسِ - هَمُّ نَفْسي، فَصَدَقَني رأيي، وصَرَفَني عَن هوائي، وصَرَّحَ لي مَحْضُ أمري، فأفْضىٰ بي إلىٰ جَدٍّ لا يكونُ فيه لعِبٌ، وصِدْقٌ لا يَشوبُه كَذِبٌ، ووَجَدْتُكَ، بل وَجَدْتُكَ كُلّي، حتىٰ كأنَّ شيئاً لو أصابك أصابني، وكأنَّ الموتَ لو أتاكَ أتاني، فعَناني من أَمْرِكَ ما يَعنيني من أمرِ نَفْسي، فَكَتَبْتُ إليك كتابي، مُسْتَظهِراً به إن أنا بقيتُ لكَ أو فَنيتُ.

فإني أوصيكَ بتقوىٰ اللهِ ولزومِ أمره، وعَمارَةِ قَلْبِكَ بذِكْرِه، والاعتِصامِ بحَبلِهِ، وأيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ من سَبَبٍ بَيْنَكَ وبيْنَ اللهِ إنْ أَنْتَ أخَذْتَ به؟

أحْيِ قَلبَكَ بالمَوْعِظَةِ، وأَمِتْهُ بالزَّهادَةِ، وقَوِّهِ باليَقينِ، ونَوِّرْهُ بالحِكْمَةِ، وذَلِّلْهُ بذكرِ الموتِ، وقَرِّرْهُ بالفَناءِ، وبَصِّرْهُ فجائِعَ الدُّنيا، وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وفُحْشَ تَقَلُّبِ الليالي والأَيَّامِ، وأعْرِضْ عَلَيْهِ أخْبارَ الماضِين، وذَكِّرْهُ بما أصابَ مَنْ كانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلينَ، وسِرْ في ديارِهِمْ وآثارِهِمْ، فأنْظُرْ فيما فَعَلُوا، وَعَمَّا انتقلوا، وأينَ حَلُّوا أو نَزَلوا، فإنَّك تَجدهُم قد انتقلوا عنِ الأَحِبَّةِ، وحلوا ديارَ الغُربَةِ، وكأنَّك عَنْ قليلٍ قد صِرْتَ كأحدِهِمْ، فأصلِحْ مَثْواكَ، ولا تَبِعْ آخِرَتَكَ بدُنياكَ، ودَعِ القَوْلَ فيما لا تَعْرِفُ، والخِطابَ فيما لَمْ تُكَلَّفْ، وأمْسِكْ عَنْ طريقٍ إذا خِفْتَ ضلالَتَهُ، فإنَّ الكَفَّ عند حَيْرَةِ الضَّلالِ خَيْرٌ من رُكوبِ الأهوالِ.

وأمُرْ بالمعروفِ تَكُنْ من أَهْلِه، وأنكِرِ المنكَرَ بيَدِكَ، وبايِنْ من فَعَلَهُ بجهْدِكَ، وجاهِدْ في اللهِ حقَّ جهادِهِ، ولا تأخذْكَ في اللهِ لَوْمَةُ لائمٍ، وخُضِ الغَمَراتِ للحَقِّ حَيْثُ كانَ، وتَفَقَّهْ في الدين، وعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ على المكروهِ، ونِعْمَ الخُلُقُ التَّصَبُّرُ في الحقِّ.

وأَلْجِيء نَفْسَكَ في الأُمورِ كُلِّها إلىٰ إلهِكَ، فإنَّكَ تُلجِئُها إلىٰ كهفٍ حريزٍ[1]، ومانِعٍ عزيزٍ، وأَخْلِصْ في المسألَةِ لِرَبِّكَ فإنَّ بيده العطاءَ والحِرْمانَ، وأَكثر الاستخارَةَ[2] وتَفَهَّمْ وصيَّتي، ولا تَذْهَبَنَّ عَنْها صَفْحاً، فإنَّ خَيْرَ القَوْلِ ما نَفَعَ، وٱعلمْ أنَّهُ لا خَيْرَ في عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ولا يُنْتَفَعُ بعِلْمٍ لا يَحُقُّ تَعلُّمُهُ.

أي بُنَيّ، إني لمّا رأيتُني قد بَلَغْتُ سنّاً، ورأَيتُني أَزدادُ وَهْناً، بادَرْتُ بوَصِيَّتي إليْكَ، وأورَدْتُ خِصالاً منها قبلَ أَنْ يعْجَلَ بي أجلي دونَ أنْ أُفضِيَ إليْكَ بما في نَفسي، وأنْ أَنْقُصَ في رأْيي كما نَقَصْتُ في جسمي، أو يَسْبِقَني إليكَ بَعْضُ غلَبات الهوىٰ، أو فِتَنِ الدُّنيا، فتكونَ كالصَّعْبِ النَّفور، وإنَّما قَلْبُ الحَدَثِ كالأَرْضِ الخالِيةِ، ما أُلقِيَ فيها من شيءٍ قَبِلتْهُ، فبادَرْتُكَ بالأَدبِ قبلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلبُكَ، ويَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بجِدِّ رأيِكَ مِنَ الأَمْرِ ما قد كَفاكَ أَهْلُ التَّجارِبِ بُغْيَتَهُ وتَجرِبَتَهُ، فتكونَ قد كُفيتَ مؤونَةَ الطَّلَبِ، وعُوفيتَ من عِلاجِ التَّجرِبَةِ، فأتاكَ من ذلك ما قَدْ كُنَّا نأتيهِ، وٱستَبانَ لكَ ما ربَّما أظلَمَ عَلَيْنا مِنْهُ.

أي بنيَّ، إني وإنْ لم أكن عُمِّرْتُ عُمرَ مَن كان قبلي لقد نَظَرْتُ في أعمالِهِمْ، وفكَّرتُ في أخبارِهِمْ، وسِرتُ في آثارِهِمْ، حتى عُدْتُ كأحَدِهِمْ، بل كأنِّي بما ٱنتهىٰ إليَّ من أمورِهِمْ قد عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهم إلىٰ آخرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذلِكَ من كَدرِهِ، ونَفْعَهُ من ضَرَرِه، فٱستَخْلَصْتُ لك من كُلِّ أَمْرٍ نخيلَهُ[3]، وتَوَخَّيْتُ لكَ جَميلَهُ، وصَرَفْتُ عَنْكَ

---

(١) حريز: حصين.
(٢) الاستخارة: صلاة يُقصد بها إلى الاستلهام القلبيّ.
(٣) أي: عصارته.

مَجْهولَهُ، ورأيت حيث عناني من أمرِكَ ما يَعني الوالدَ الشَّفيقَ، وأجمَعْتُ عليه من أَدَبِكَ أن يكونَ ذلكَ وأنتَ مُقْبِلُ العُمرِ ومُقْتَبِلُ الدَّهْرِ ذو نِيَّةٍ سَليمةٍ، ونَفْسٍ صافيةٍ، وأنْ أبتَدِئَكَ بتعليمِ كتابِ اللهِ وتأويلهِ، وشرائع الإسلامِ وأحكامه، وحَلالهِ وحَرامهِ لا أجاوز لكَ إلىٰ غيرهِ، ثمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يلتَبِسَ عَلَيْكَ ما ٱختَلَفَ الناسُ فيه من أهوائهمْ وآرائِهِمْ مثلَ الذي ٱلتبسَ عليهم، فكانَ إحكامُ ذلك علىٰ ما كَرِهْتُ من تَنْبيهكَ لهُ أَحَبَّ إليَّ من إسلامِكَ إلىٰ أمرٍ لا آمَنُ عَلَيْكَ به ٱلهَلَكَةَ، ورَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ لِرُشْدِكَ، وأنْ يَهْدِيَكَ لقَصْدِكَ، فعَهِدْتُ إليكَ وصيَّتي هذه.

وٱعلمَ يا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَبَّ ما أَنْتَ آخِذٌ به إليَّ من وَصيَّتي، تَقْوىٰ اللهِ، والاقتِصارُ علىٰ ما فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ، والأَخْذُ بما مَضىٰ عليه الأَوَّلونَ من آبائِكَ، والصَّالِحونَ من أهلِ بيتِكَ، فإنَّهُمْ لمْ يَدَعُوا أنْ نَظَروا لأَنْفُسِهِمْ كما أَنْتَ ناظِرٌ، وفكَّروا كما أَنْتَ مُفكِّرٌ، ثمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذلك إلىٰ الأَخْذِ بما عَرَفوا، والإمساكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفوا، فإنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذلِكَ دونَ أَنْ تَعْلَمَ كما عَلِموا، فليَكُنْ طَلَبُكَ بتَفَهُّمٍ وتَعَلُّمٍ، لا بتَوَرُّطِ الشُّبهاتِ، وعُلُوِّ الخُصوصِيّات، وٱبدأ - قبل نَظَرِكَ في ذلك - بالاستِعانة بإلهِكَ، والرَّغْبَةِ إليه في تَوفيقِكَ، وتَرْكِ كُلِّ شائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ في شُبْهَةٍ، أو أَسْلَمَتْكَ إلىٰ ضلالةٍ، فإذا أيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وتَمَّ رأيُك فٱجْتَمَعَ لكَ ما تُحِبُّ من نَفْسِكَ وفراغِ نَظَرِكَ وفِكرِكَ، فٱعلَمْ أنَّكَ إنَّما تخبِطُ العشواء[1]، وتَتَورَّطُ الظَّلماءَ، ولَيْسَ طالِبُ الدِّين مَن خَبَطَ أو خَلَطَ، والإمساكُ عَنْ ذلك أَمْثَلُ.

فتَفَهَّمْ يا بُنَيَّ، وصيَّتي، وٱعلمْ أَنَّ مالِكَ ٱلموتِ هُوَ مالِكُ ٱلحَياةِ،

---

(١) العشواء: الضعيفة البصر، وضبط العشواء كناية عن التصرّف دون حكمة.

وأنَّ الخالِقَ هُوَ المُميتُ، وأنَّ المُفْني هُوَ المُعِيدُ، وأنَّ المُبْتَلىٰ هُوَ المُعافى، وأنَّ الدُّنيا لمْ تكُنْ لِتَستقِرَّ إلاّ علىٰ ما جَعَلها اللهُ عليْهِ منَ النَّعْماءِ، والابتلاء والجَزاءِ في المعادِ أو ما شاءَ مِمّا لا نَعْلَمُ، فإنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شيءٌ من ذلك فٱحمِلْهُ على جهالَتِكَ به، فإنَّكَ أوَّلُ ما خُلِقْتَ جاهِلاً ثُمَّ عُلِّمْت، وما أكْثَرَ ما تَجْهَلُ منَ الأَمْرِ، ويَتَحَيَّرُ فيه رأْيُكَ، ويَضِلُّ فيه بصَرُكَ، ثمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذلك، فٱعتصِمْ بٱلذي خَلَقَكَ ورزَقَكَ وسَوَّاكَ، ولْيَكُنْ لهُ تعَبُّدُكَ، وإليه رَغْبَتُكَ، ومنه شفَقَتُكَ.

وٱعلمْ يا بُنَيَّ، أنَّ أَحَداً لمْ يُنْبِىءِ عَنِ اللهِ كما أَنْبأَ عنه الرَّسولُ ﷺ، فٱرضَ به رائداً، وإلىٰ النجاةِ قائداً، فإني لمْ آلُكَ نَصيحةً، وإنَّكَ لَنْ تبلُغَ في النَّظَرِ لِنَفْسِكَ - وإن ٱجْتَهَدْتَ - مَبْلَغَ نَظري لكَ.

وٱعْلَمْ يا بُنَيَّ، أنّهُ لو كانَ لِرَبِّكَ شَريكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُه، ولرأَيْتَ آثارَ مُلْكِهِ وسُلطانِه، ولَعَرَفْتَ أفعالَهُ وصِفاتِهِ، ولكنهُ إلهٌ واحِدٌ، كما وَصَفَ نَفْسَه، لا يُضادُّه في مُلْكه أَحَدٌ، ولا يزولُ أَبَداً، ولم يزَلْ، أَوَّلُ قَبْلَ الأَشْياءِ بلا أَوَّلِيَّةَ، وآخِرُ بَعْدَ الأَشياءِ بلا نهايةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تثبُتَ رُبوبيَّتُهُ بإحاطَةِ قَلْبٍ أو بَصَرٍ، فإذا عرفْتَ ذلكَ فٱفْعَلْ كما ينبغي لِمثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ في صِغَرِ خَطَرِهِ، وقِلَّةِ مقدِرَتِهِ، وكَثْرَةِ عَجْزه، وعظيمِ حاجَته إلى ربّه في طَلَبِ طاعَتهِ، والخَشْيَةِ من عُقوبتهِ، والشَّفَقَةِ من سُخْطهِ، فإنَّه لم يأمُرْك إلاّ بحَسَنٍ، ولمْ يَنْهَكَ إلاّ عن قبيحٍ.

يا بُنَيَّ، إني قد أنبأتُكَ عن الدُّنيا وحالِها، وزَوالِها وٱنتِقالها، وأنْبأتُكَ عنِ الآخِرَةِ، وما أُعِدَّ لأهلها فيها، وضَرَبْتُ لَكَ فيهما الأَمْثال لتَعْتَبِرَ بها، وتَحْذَرَ عليها، إنَّما مَثَلُ مَنْ خَبرَ الدُّنيا كمثل قومٍ سَفْرٍ[1] نَبا بهِمْ

---

(١) سفر: مسافرون.

مَنْزِلٌ جَديبٌ فأَمُّوا مَنْزِلاً خصيباً، وجَناباً مريعاً، فٱحتَملوا وَعْثاءَ الطَّرِيقِ، وفِراق الصَّديقِ، وَخُشونَةَ السَّفَرِ، وجُشوبَةَ[1] المطعمِ، ليأتُوا سعَةَ دارِهِمْ، ومَنْزِلَ قرارِهِمْ، فلَيْسَ يَجِدونَ لشيءٍ من ذلك أَلَماً، ولا يَرَونَ نَفَقَةً مَغْرَماً، ولا شيء أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمّا قَرَّبَهمْ من مَنْزِلِهِمْ، وأدناهُمْ من مَحَلِّهِمْ، ومَثَلُ مَنِ ٱغترَّ بها كَمَثَلِ قومٍ كانوا بِمَنْزِلٍ خَصيبٍ، فنبا بهم إلىٰ مَنْزِلٍ جَديبٍ، فليْس شيءٌ أكرَهَ إليْهِمْ ولا أقطَعَ عِنْدهُمْ من مُفارَقَةِ ما كانوا فيه إلىٰ ما يَهجُمونَ عليه، ويصيرونَ إليه.

يا بُنَيَّ، ٱجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزاناً فيما بينَكَ وبينَ غيرِكَ، فأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ ما تُحِبُّ لِنَفْسِك، وٱكرَهْ لهُ ما تكرَهُ لها، ولا تَظْلِمْ كما لا تُحِبُّ أَنْ تُظلَمَ، ، وأَحْسِنْ كما تُحِبُّ أَنْ يُحسَنَ إليكَ، وٱستَقْبِحْ من نَفْسك ما تَسْتَقْبِح من غيرِكَ، وٱرْضَ منَ الناسِ بما تَرْضاهُ لَهُمْ من نَفْسِكَ، ولا تَقُلْ ما لا تَعْلَمُ، وإنْ قَلَّ ما تَعْلَمُ، ولا تَقُلْ ما لا تُحِبُّ أَن يقالَ لكَ.

وٱعلَمْ أنَّ الإعجابَ ضد الصَّوابِ، وآفةُ الألبابِ، فٱسعَ في كَدْحِكَ، ولا تكُنْ خازِناً لِغَيْرِكَ، وإذا كُنْتَ هُديتَ لقَصْدِكَ فكنْ أَخْشَعَ ما تكونُ لِرَبِّكَ.

وٱعلَمْ أنَّ أمامَكَ طريقاً ذا مسافةٍ بعيدةٍ، ومَشقَّةٍ شديدةٍ، وأنَّهُ لا غِنَى لكَ فيه عَن حسْنِ الارتيادِ، وقَدِّرْ بلاغَكَ من الزَّادِ مع خِفَّةِ الظَّهْرِ، فلا تَحْمِلَنَّ على ظَهْرِكَ فوقَ طاقَتِكَ، فيكونَ ثقلُ ذلك وبالاً عَلَيْكَ، وإذا وَجَدْتَ من أَهْلِ الفاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زادَكَ إلىٰ يومِ القيامَةِ فَيوافيكَ به غداً حَيْثُ تَحْتاجُ إليهِ فٱغتَنِمْهُ، وحَمِّلْهُ إيّاهُ، وأَكْثِرْ من تَزويده وأنْتَ قادِرٌ عليْهِ، فلَعَلَّكَ تَطلُبُهُ فلا تَجِدُهُ، وٱغْتَنِمْ مَنِ ٱستَقْرَضَكَ في حالِ غِنَاكَ، ليَجْعَلَ قَضاءَهُ لكَ في يومِ عُسْرَتِكَ.

---

(١) جشوبة: خشونة.

وٱعلَمْ أنَّ أمامَكَ عَقَبَةً كَؤوداً[١] المخِفُّ فيها أَحْسَنُ حالاً من المُثْقَلِ، والبَطيءُ عليها أقْبَحُ حالاً منَ المسرِعِ، وأنَّ مَهْبَطَكَ بها لا محالةَ علىٰ جَنَّةٍ أو علىٰ نارٍ، فٱرْتَدْ لنَفْسِكَ قبْلَ نُزلِكَ، ووَطِّىء المَنْزِلَ قبلَ حُلولِكَ، فلَيْس بعْدَ الموتِ مُسْتَعْتَبٌ، ولا إلىٰ الدُّنيا مُنْصَرَف.

وٱعْلَمْ أنَّ الذي بِيده خَزائِنُ السَّماوات والأَرضِ قد أَذِنَ لكَ في الدُّعاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بالإجابة، وأَمَرَكَ أَنْ تسألَهُ لِيُعطيَكَ، وتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، ولَمْ يَجْعَلْ بَيْنَك وَبَيْنَهُ مَن يَحْجُبُهُ عَنْكَ، ولَمْ يُلْجِئْكَ إلىٰ مَنْ يَشْفَعُ لك إليه، ولم يَمْنَعْكَ إنْ أَسَأْتَ من التَّوبَةِ، ولَمْ يُعاجِلْكَ بالنِّقمَة، ولَمْ يُعَيِّرْكَ بالإنابةِ ولمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الفَضيحَةُ بكَ أَوْلىٰ، ولم يُشَدِّدْ عَلَيْكَ في قُبولِ الإنابة، ولَمْ يُناقِشْكَ بالجريمةِ، ولَمْ يوئِسْكَ من الرَّحْمَةِ، بل جَعَلَ نُزوعَكَ عن الذَّنْبِ حَسَنَةً، وحَسَبَ سيِّئَتِكَ واحِدةً، وحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً وفَتَحَ لَكَ بابَ المتابِ، وبابَ الاستيعاب، فإذا نادَيْتَهُ سَمِعَ نِداءَكَ، وإذا ناجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْواكَ، فأَفْضَيْتَ إليهِ بحاجَتِكَ، وأبْثَثْتَهُ ذاتَ نَفْسِكَ، وشَكَوْتَ إليهِ هُمومَكَ، وٱستكْشَفْتَهُ كُروبَكَ، وٱستَعَنْتَهُ علىٰ أُمورِكَ، وسأَلْتَهُ من خَزائنِ رَحْمَتِهِ ما لا يَقْدِرُ علىٰ إعطائِهِ غَيْرُهُ من زيادَةِ الأَعْمارِ، وصحَّة الأَبدانِ، وسَعَةِ الأَرْزاقِ، ثمَّ جَعَل في يَدَيْكَ مَفاتيحَ خزائنه بما أذِنَ لك من مسأَلَتِهِ، فمتىٰ شِئْتَ ٱستَفْتَحْتَ بالدُّعاء أبوابَ نِعمَتِهِ، وٱستَمْطَرْتَ شآبيبَ رحْمَتِهِ، فلا يُقْنِطَنَّكَ إبطاءُ إجابتِهِ، فإنَّ العَطِيَّةَ على قَدْرِ النِّيَّةِ، ورُبَّما أُخِّرَتْ عَنْكَ الإجابَةُ ليكونَ ذلكَ أَعْظَمَ لأجرِ السَّائِلِ، وأجزَلَ لعَطاءِ الآمِلِ، ورُبَّما سأَلْتَ الشَّيءَ فلا تُؤْتَاهُ، وأوتِيْتَ خَيراً منه عاجِلاً أو آجِلاً، أو صُرِفَ عَنْكَ لما هُوَ خَيْرٌ لكَ، فلَرُبَّ

---

(١) أي: طريقاً شاقّة.

أمْرٍ قد طَلَبْتَهُ فيه هَلاكُ دينِكَ لو أوتِيتَهُ، فلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فيما يَبْقى لكَ جَمالُهُ، ويُنْفىٰ عَنْكَ وَبالُهُ، والْمالُ لا يبقىٰ لكَ، ولا تَبْقى لهُ.

واعلَمْ أنَّكَ إنَّما خُلِقْتَ للآخِرَةِ لا للدُّنيا، ولِلْفناءِ لا لِلْبقاءِ، ولِلْمَوْتِ لا لِلْحياةِ وأَنَكَ في مَنْزِلٍ قُلْعَةٍ[1]، ودارِ بُلْغةٍ، وطريقٍ إلىٰ الآخِرَةِ، وأنَّكَ طريدُ المَوْتِ الذي لا يَنْجُو منه هارِبُه، ولا يَفوتُهُ طالِبُهُ، ولا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فكُنْ منه علىٰ حَذَرٍ أَنْ يُدرِكَكَ، وأَنْتَ علىٰ حالٍ سيِّئَةٍ، قدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ منها بالتَّوبَةِ، فيحولُ بَيْنَكَ وبينَ ذلكَ، فإذا أَنْتَ قد أهلكتَ نَفْسَكَ.

يا بُنَيَّ، أكثِرْ من ذِكْرِ المَوْتِ، وذِكْرِ ما تَهْجُمُ علَيْهِ، وتُفْضي بَعْدَ الموتِ إليه وحتىٰ يأتِيَكَ وَقَد أَخَذْتَ منه حذرَكَ، وشَدَدْتَ لهُ أَزْرَكَ، ولا يأتيك بَغْتَةً فَيَبْهُرَكَ، وإياكَ أن تَغْتَرَّ بما تَرىٰ من إخلادِ أهل الدُّنيا إليها، وتكالُبِهم عليها، فقد نَبَّأَ اللهُ عَنْها، ونَعَتْ لك نَفْسَها، وتكشَّفَتْ لَكَ عن مساوئها، فإنَّما أهلُها كِلابٌ عاوِيةٌ، وسِباعٌ ضارِيةٌ، يهرُّ بَعْضُها بَعْضاً، ويأكُلُ عَزيزُها ذليلَها، ويَقْهَرُ كبيرُها صغيرها، نِعَمٌ مُعَقَّلَةٌ[2] وأخرىٰ مهملةٌ قد أَضَلَّتْ عُقُولَها، ورَكبت مَجهولها، سُروحُ عاهَةٍ[3] بوادٍ وَعْثٍ[4]، لَيْس لها راعٍ يُقيمُها، ولا مُقيمٌ يسيمُها[5]، سَلَكَتْ بِهِم الدُّنيا طريقَ العَمىٰ، وأَخَذَتْ بأبصارِهِمْ عَنْ مَنارِ الهُدىٰ، فتاهُوا في حَيْرتِها، وغَرِقُوا في نِعْمَتِها، واتَّخذوها ربّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ ولَعِبوا بها،

---

(١) أي: خالية.
(٢) أي: مربوطة.
(٣) أي: في مكان مليء بالمصاعب.
(٤) هذا مثل عربي.
(٥) أسام الماشية: أخرجها إلى المرعى.

ونَسوا ما وراءها. رُوَيداً يَسْفِرُ الظَّلامُ، كأَنْ قد وَرَدَتِ الأظعانُ، يوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ.

وٱعلَمْ يا بُنَيَّ، أَنَّ مَنْ كانَتْ مَطِيَّتُهُ الليلَ والنَّهارَ فإنَّهُ يُسارُ به وإنْ كانَ واقفاً، ويَقْطَعُ المسافَةَ وإنْ كان مُقيماً وادِعاً.

وٱعلَمْ يقيناً أَنَّكَ لنْ تبْلُغَ أَمَلَكَ، ولَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وأَنَّكَ في سبيلِ مَنْ كانَ قَبْلَكَ، فخَفِّضْ في الطَّلَبِ، وأجمِلْ في المكتَسَبِ، فإنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قد جَرَّ إلىٰ حَرَبٍ، فليْسَ كُلُّ طالِبٍ بمَرْزوقٍ، ولا كُلُّ مُجْمِلٍ بمَحْرومٍ.

وأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وإنْ ساقَتْكَ إلىٰ الرَّغائِبِ، فإنَّكَ لن تَعْتاضَ بما تَبْذُلُ من نَفْسِكَ عَوَضاً، ولا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً، وما خَيْرُ خَيْرٍ لا يُنالُ إلاّ بشرٍّ، ويُسْرٍ لا يُنالُ إلاّ بعُسْرٍ.

وإياكَ أنْ تُوجِفَ[1] بِكَ مطايا الطَّمَعِ، فتورِدَكَ مناهِلَ الهلَكَةِ، وإنِ ٱستَطَعْتَ أَنْ لا يكونَ بينَكَ وبينَ اللهِ - سبحانه - أعظمُ وأكرَمُ من الكثيرِ من خَلْقِهِ، وإنْ كانَ كُلٌّ مِنْهُ.

وتلافيكَ ما فَرَطَ من صَمْتِكَ أَيْسَرُ من إدْراكِكَ ما فاتَ من مَنْطِقِكَ، وحِفْظُ ما في الوعاءِ بشدِّ الوكاءِ[2]، وحِفْظُ ما في يَدَيْكَ أَحَبُّ إليَّ من طَلَبِ ما في يَدِ غَيْرِكَ، ومَرارَةُ اليأسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إلىٰ الناسِ، والحِرفَةُ مع العِفَّةِ خيرٌ منَ الغِنىٰ مع الفُجورِ، والمرءُ أحفَظُ بسرِّه، ورُبَّ ساعٍ فيما يضُرُّهُ. مَنْ أكثرَ أَهْجَرَ[3]، ومَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ.

---

(١) توجف: تُسرع.

(٢) هذا مثل عربيّ يضرب في الحثّ على أخذ الأمر بالحزم.

(٣) هذا مثل عربي.

قارِنْ أهْلَ الخَيْرِ تكُنْ مِنهُمْ، وبايِنْ أهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، بئسَ الطَّعامُ الحرامُ، وظُلْمُ الضَّعيفِ أفْحَشُ الظُّلْمِ، إذا كانَ الرِّفْقُ خُرْقاً، كانَ الخُرْقُ رفقاً، رُبَّما كانَ الدَّواءُ داءً، والدّاءُ دواءً، ورُبَّما نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وغَشَّ المُسْتَنْصَحُ. وإياكَ واتكالَكَ على المُنَىٰ فإنَّها بَضائِعُ الموتىٰ، والعَقْلُ حِفظُ التَّجارِبِ، وخَيْرُ ما جَرَّبْتَ ما وَعَظَكَ، بادِرِ الفُرْصَةَ قَبْلَ أنْ تكونَ غُصَّةً، ليسَ كُلُّ طالبٍ يُصيبُ، ولا كُلُّ غائبٍ يَؤوبُ، ومِنَ الفسادِ إضاعَةُ الزَّادِ، ومَفْسَدَةُ المعادِ، ولِكُلِّ أَمْرٍ عاقِبَةٌ، سوفَ يأتيكَ ما قُدِّرَ لَكَ، التّاجِرُ مُخاطِرٌ، ورُبَّ يسيرٍ أنْمىٰ من كثيرٍ، ولا خيرَ في مُعينٍ مَهينٍ، ولا في صديقٍ ظنينٍ، ساهِلِ الدَّهْرَ ما ذَلَّ لكَ قَعُودُهُ، ولا تُخاطِرْ بشيءٍ رَجاءَ أكثَر مِنْهُ، وإياكَ أَنْ تَجْمَحَ بكَ مَطِيَّةُ اللَّجاجِ. احمِلْ نَفْسَكَ من أخيكَ - عند صرمه - علىٰ الصِّلَةِ، وعند صُدودِهِ علىٰ اللُّطْفِ والمقارَبَةِ، وعِنْدَ جُمودِهِ علىٰ البَذْلِ، وعِنْدَ تَباعُدِهِ علىٰ الدُّنُوِّ، وعِنْدَ شِدَّتِه علىٰ اللينِ، وعند جُرْمِهِ علىٰ العُذْرِ، حتىٰ كأنَّكَ لهُ عَبْدٌ، وكأنَّهُ ذو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ، وإياك أنْ تَضَعَ ذَلِكَ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أو أَنْ تَفْعلَهُ بغَيْرِ أَهْلِهِ، لا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صديقِكَ فتُعادِيَ صديقَكَ، وٱمْحَضْ أخاكَ النَّصيحَةَ حَسَنَةً كانَتْ أو قبيحَة، وتَجَرَّعِ ٱلغَيْظَ فإنّي لمْ أَرَ جُرْعَةً أَحلىٰ منها عاقِبةً ولا أَلَذَّ مَغَبَّةً، ولِنْ لِمَنْ غالَظَكَ، فإنَّهُ يوشِكُ أَنْ يلينَ لكَ، وخُذْ علىٰ عَدُوِّكَ بالفضْلِ فإنَّهُ أحْلَىٰ الظَّفَرَينِ، وإنْ أَرَدْتَ قطيعَةَ أخيكَ فٱستَبْقِ لهُ من نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إليها إنْ بدا لهُ ذلكَ يوماً ما، ومَنْ ظَنَّ بكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، ولا تُضيعَنَّ حقَّ أخيكَ ٱتكالاً علىٰ ما بينَكَ وبينَهُ، فإنَّهُ ليس لك بأخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ، ولا يكُنْ أهلُكَ أَشْقىٰ الخَلْقِ بكَ، ولا تَرْغَبَنَّ فيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ، ولا يَكونَنَّ أخوكَ علىٰ مقاطَعَتِكَ أقوىٰ مِنْكَ علىٰ صلته، ولا يكونَنَّ علىٰ الإساءَةِ أقوىٰ منْكَ

علىٰ الإحسانِ، ولا يكبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فإنَّهُ يَسْعَىٰ في مَضرَّتِهِ ونَفْعِكَ، ولَيْسَ جَزاءُ مَنْ سَرَّكَ أنْ تسوءَهُ.

وٱعْلَمْ يا بُنَيَّ، أنَّ الرِّزْقَ رِزْقانِ، رِزْقٌ تَطلُبُهُ، ورِزْقٌ يَطلُبُكَ، فإنْ أَنْتَ لمْ تَأتِه أتاكَ. ما أَقْبَحَ الخُضوعَ عِنْدَ ٱلحاجَةِ، وٱلجَفاءَ عِنْدَ الغِنىٰ، إنَّ لكَ من دُنياكَ ما أَصْلَحْتَ به مَثْواكَ، وإنْ جَزِعْتَ علىٰ ما تَفَلَّت من يَدَيْكَ، فٱجزَعْ علىٰ كُلِّ ما لَمْ يَصِلْ إليْكَ. ٱستَدِلَّ علىٰ ما لَمْ يكُنْ بما قَدْ كانَ فإنَّ الأمورَ أشْباهٌ، ولا تكونَنَّ مِمَّنْ لا تَنْفَعُهُ العِظَةُ إلاّ إذا بالَغْتَ في إيلامِهِ، فإنَّ العاقِلَ يَتَّعِظُ بالآدابِ، وٱلبَهائِمَ لا تَتَّعِظُ إلاّ بالضَّرْبِ. اطرَحْ عَنْكَ وارِداتِ الهُمومِ بعزائِمِ الصَّبْرِ وحُسْنِ اليقينِ، من تَرَكَ القَصْدَ جارَ، والصاحِبُ مناسَبٌ، والصَّديقُ مَن صدَقَ غَيْبُه، والهوىٰ شريكُ العَناءِ، رُبَّ قَريبٍ أبعَدُ من بعيدٍ، ورُبَّ بَعيدٍ أقربُ من قريبٍ، والغَريبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لهُ حَبيبٌ، مَنْ تَعَدَّىٰ الحقَّ ضاقَ مَذْهَبُهُ، ومَنِ ٱقتَصَرَ علىٰ قَدْرِهِ كانَ أبقىٰ لهُ، وأوثَقُ سَبَبٍ أخذْتَ به سبَبٌ بينَكَ وبينَ اللهِ، ومَنْ لم يُبالِكْ فهُوَ عَدوُّكَ، قد يكونُ اليأسُ إدراكاً إذا كانَ الطَّمَعُ هلاكاً. ليْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، ولا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصابُ، ورُبَّما أخطأ البصيرُ قَصْدَهُ، وأصابَ الأعْمىٰ رُشْدَهُ، أخِّرِ الشَّرَّ فإنَّكَ إذا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وقطيعةُ الجاهلِ تَعْدِلُ صلَةَ العاقِلِ، مَنْ أَمِنَ الزَّمانَ خانَهُ، ومَنْ أعْظَمَهُ أهانَهُ، ولَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمى أَصابَ، إذا تَغَيَّرَ السُّلطانُ تَغَيَّرَ الزَّمانُ، سلْ عَنِ الرَّفيقِ قبلَ الطَّريقِ، وعَنِ الجارِ قبلَ الدارِ، إياكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الكلامِ ما كانَ مُضْحِكاً، وإنْ حَكَيْتَ ذلِكَ عَنْ غَيْرِكَ، وإياكَ ومشاوَرَةَ النِّساءِ، فإنَّ رأيَهُنَّ إلىٰ أَفَنٍ، وعَزْمَهُنَّ إلىٰ وَهَنٍ، واكفُفْ عَلَيْهِنَّ من أبصارِهِنَّ بحِجابِكَ إياهُنَّ، فإنَّ شدَّةَ الحِجابِ أبقىٰ عَلَيْهِنَّ، ولَيْسَ خُروجُهُنَّ بأَشَدَّ من إدخالِكَ مَنْ لا يُوثَقُ به عَليْهِنَّ، وإنِ ٱستَطَعْتَ أن لا يعْرِفنَ غَيْرَكَ

فٱفعَلْ، ولا تُمَلِّكِ المرأَةَ من أمرِها ما جاوَزَ نَفْسها، فإنَّ المرأَةَ ريحانَةٌ ولَيْسَتْ بقَهْرَمانة، ولا تَعْدُ بِكرامَتِها نَفْسَها، ولا تُطْمِعْها في أَنْ تَشْفَعَ بِغَيْرِها، وإياكَ والتَّغايُرَ في غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فإنَّ ذلكَ يدعو الصَّحيحَةَ إلىٰ السُّقْمِ، والبريئَةَ إلىٰ الرِّيَبِ، وٱجعَلْ لِكُلِّ إنسانٍ من خَدَمِكَ عَمَلاً تأخُذُهُ به، فإنَّهُ أحرىٰ أنْ لا يَتواكَلُوا في خِدْمَتِكَ، وأكرِمْ عشيرَتَكَ فإنَّهُمْ جناحُكَ الذي به تَطيرُ، وأصلُكَ الذي إليهِ تصيرُ، ويَدُكَ التي بها تَصولُ.

أستَودِعُ اللهَ دينَكَ ودُنياكَ، وأسألُهُ خَيْرَ القضاءِ لكَ في العاجِلَةِ والآجِلَةِ، والدُّنيا والآخِرَةِ. والسلام.

★ ★ ★

الفصل الثالث:

وصيّته لابنه محمّد

قال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي ابنه محمّد بن الحنفية(١).

تَفَقَّه في الدِّينِ، وعَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ علىٰ المكروهِ، وكِلْ نَفْسَكَ في أُمورِكَ كُلِّها إلىٰ الله عزَّ وجلَّ، فإنَّك تَكِلُها إلىٰ كَهْفٍ، وأخلِص المسألةَ لربِّكَ، فإنَّ بيَده العطاءَ والحِرمانَ، وأكثِر الاستِخارةَ لهُ، وأعلَمْ أنَّ من كانَتْ مطيَّتُه الليلَ والنهارَ، فإنَّه يسارٌ بهِ، وإن كانَ لا يسيرُ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ قد أبىٰ إلاّ خرابَ الدُّنيا وعِمارة الآخرةِ، زُهْدَك كُلَّهُ فأفعَلْ ذلك، وإن كُنْتَ غيْرَ قابلٍ نصيحَتي إياكَ فأعلَمْ علماً يقيناً أنَّك لنْ تَبلُغَ أَمَلَكَ، ولَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وإنَّك في سبيلِ مَنْ كان قِبَلَكَ، فأكرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كلِّ دَنِيَّةٍ، وإن ساقَتْكَ إلىٰ الرَّغائِبِ، فإنَّكَ لنْ تَعْتاض بما تَبْذُلُ من نَفْسِكَ عِوَضاً.

وإياكَ أنْ توجِفَ بك مطايا الطَّمَع وتقولَ: متىٰ ما أُخِّرْتُ نَزَعْتُ،

---

(١) هو محمد بن عليّ بن أبي طالب، الهاشميّ القرشيّ، أبو القاسم المعروف بابن الحنفيّة (٢١ - ٨١هـ/ ٦٤٢ - ٧٠٠م) أخو الحسن والحسين، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، يُنسب إليها تمييزاً عنهما. كان واسع العلم، ورعاً. وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته، ويزعم أنه المهدي. مولده ووفاته في المدينة (الزركلي: الأعلام ٦/ ٢٧٠).

فإنَّ هذا أهلَكَ مَنْ هَلَكَ قَبْلَكَ، وأَمْسِكْ عليك لِسانَكَ فإنَّ تلافيكَ ما فَرَط من صَمْتِكَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ من إدراكِ ما فاتَ من مَنْطِقِكَ.

وٱحفَظْ ما في الوِعاءِ بشدِّ الوكاءِ فَحُسْنُ التَّدبير مع الاقتصادِ أبقىٰ لَكَ مَن الكثير مع الفسادِ، والحِرفَةُ مع العِفَّةِ خيرٌ مِنَ الغِنىٰ معَ الفُجورِ، والمرءُ أَحْفَظُ لسرِّهِ، ولرُبَّما سعىٰ فيما يَضُرُّهُ.

وإياكَ والاتّكالَ علىٰ الأماني، فإنَّها بضائِعُ النّوكى، وتُثَبِّطُ عن الآخِرَةِ والأولىٰ، ومن خير حَظِّ الدُّنيا القَرينُ الصَّالِحُ، فقارِنْ أهلَ الخيرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وبايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، ولا يَغْلِبَنَّ علَيْكَ سوءُ الظَّنِّ، فإنَّهُ لنْ يَدَعَ بينَكَ وبينَ خليلٍ صُلْحاً.

أَذْكِ قَلْبَكَ بالأَدَبِ كما تُذكي النارَ بالحَطَبِ، وٱعلَمْ أَنَّ كُفْرَ النِّعمةِ لؤمٌ، وصُحْبَةَ الأَحمَقِ شُؤمٌ، ومِنَ الكَرَمِ مَنْعُ الحَرَمِ، ومَنْ حَلَمَ سادَ، ومَنْ تَفَهَّمَ ٱزدادَ.

امحَضْ أخاكَ النَّصيحَةَ، حَسنَةً أو قبيحةً، لا تصرِمْ أخاكَ علىٰ ٱرتيابٍ، ولا تَقْطَعْهُ دونَ ٱستِعتاب، ولَيْسَ جَزاءُ مَنْ سرَّكَ أنْ تسوءَهُ، الرِّزْقُ رِزْقانِ، رِزقٌ يطلُبُكَ، فإنْ لم تأتِهِ أتاكَ.

وٱعلَمْ يا بُنَيَّ أنَّ ما لكَ من دُنياكَ إلاّ ما أَصْلَحْتَ به من مَثواكَ، فأنفِقْ من خَيْرِكَ، ولا تَكُنْ خازِناً لِغَيْرِكَ، وإن جَزِعْتَ علىٰ ما يُفْلِتُ من يَدَيْكَ؛ فٱجْزَعْ علىٰ ما لَمْ يصِلْ إليكَ، ربَّما أخْطأ البصيرُ قصْدَهُ وأبصَرَ الأعمىٰ رُشْدَهُ، ولمْ يَهْلَكِ ٱمرؤٌ ٱقتصَدَ، ولم يفْتَقِرْ مَنْ زَهَدَ.

مَنِ ٱئتمَنَ الزَّمانَ خانَه، ومَنْ تَعَظَّمَ عليه أهانَهُ، رأسُ الدِّين اليقينُ، وتمامُ الإخلاصِ ٱجتِنابُ المعاصي، وخَيرُ المقالِ ما صدَّقَتْهُ الفِعالُ، سلْ عَنِ الرَّفيقِ قَبْلَ الطَّريقِ، وعَنِ الجارِ قبلَ الدارِ، وٱحمِلْ لصديقِكَ

عَلَيْكَ، واْقبَلْ عُذْرَ مَنِ اْعْتَذَرَ إليْكَ، وأخِّرِ الشَّرَّ ما اْستَطَعْتَ، فإنَّكَ إذا شئتَ تَعَجَّلْتَهُ. لا يكُنْ أخوكَ علىٰ قطيعَتك أقوىٰ منْكَ علىٰ صلَتِه، وعلىٰ الإساءَةِ أقوىٰ مِنْكَ علىٰ الإحسانِ.

لا تُملِّكَنَّ المرأةَ مِنَ الأمرِ ما يُجاوِزُ نَفْسها، فإنَّ المرأَةَ ريحانَةٌ وليْسَتْ بقَهْرَمانة، فإنَّ ذلك أدومُ لحالها، وأرخىٰ لبالِها.

واْغضُضْ بصَرَكَ بسَتْرِكَ، واكفُفْها بحِجابِكَ، وأكرِمِ الذينَ بهم تَصولُ، وإذا تَطاوَلْتَ بهم تطولُ.

أسألُ اللهَ أن يُلهِمَكَ الشُّكرَ والرُّشْدَ، ويُقَوِّيكَ علىٰ العَمَلِ بكُلِّ خَيْرٍ ويَصْرِفَ عَنْكَ كُلَّ محذورٍ برحمتِهِ، والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته[1].

★ ★ ★

(١) نهج البلاغة ٣/ ٦٥.

الفصل الرابع:

وصيّته لولديه الحسن والحسين

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي الحسن[١] والحسين[٢] رضي الله عنهما لما ضَرَبه ابن مُلْجم[٣]:

أوصيكُما بتقوىٰ اللهِ، ولا تَبْغِيا الدُّنيا وإِنْ بَغَتْكُما، ولا تَبْكيا علىٰ شيءٍ منها زُوي عَنكُما، قولا الحقَّ، وأرحَما اليتيمَ، وأعينا الضّائعَ، وأضيفا الجائِع، وكُونا للظالمِ خَصْماً، ولِلْمَظلومِ عَوْناً، ولا تأخُذْكُمْ في اللهِ لومةُ لائم. ثمَّ نظر إلىٰ ابن الحنفية[٤] فقال:

---

(١) تقدمت ترجمته في الفصل الثاني من هذا الباب.

(٢) هو الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشميّ العدناني، أبو عبدالله (٤ - ٦١هـ/ ٦٢٥ - ٦٨٠م) ابن فاطمة الزهراء، ولد في المدينة، ونشأ في بيت النبوة، خرج من مكة في مواليه ونسائه وذراريه ونحو الثماني من رجاله، وعلم يزيد بسفره، فوجّه إليه جيشاً اعترضه في كربلاء، فنشب قتال عنيف أصيب الحسين فيه بجراح شديدة، وسقط عن فرسه، فقتله سنان بن أنس النخعي (وقيل الشمر بن ذي الجوشن)، وكان مقتله يوم الجمعة عاشر المحرم (الزركلي: الأعلام ٢/ ٢٤٣).

(٣) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي الحميريّ (٠٠٠ - ٤٠هـ/ ٦٦٠م) من أشدّاء الفرسان، شهد فتح مصر وسكنها، كان من شيعة عليّ بن أبي طالب، وشهد معه صفّين، ثم خرج عليه، واتفق مع (البرك) و(عمرو بن بكر) على قتل عليّ ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلة واحدة، قتل في الكوفة بعد ثلاثة أيام من مقتل عليّ (الزركلي: الأعلام ٣/ ٣٣٩).

(٤) تقدمت ترجمته في الفصل السابق.

هل فَهِمْتَ ما أوصيتُ به أَخَوَيْكَ؟ قال: نعم، قال:

أوصيكَ بمِثله، وأوصيك بتوقير أخَويكَ، وتزيينِ أمرهما، ولا تَقْطَعْ أمراً دونهما، وقال لهما:

أوصيكُما بهِ، فإنَّهُ شقيقُكما، وٱبنُ أبيكُما، وقد عَلِمْتُما أنَّ أباكُما كان يُحِبُّه فأحِبّاهُ[1].

★ ★ ★

(١) المعمرون والوصايا ص١٥٠.

الفصل الخامس:

وصيّته لمعقل بن قيس الرياحيّ

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي مَعْقِل بن قيس الرياحي[١] حينَ أنْفَذَهُ إلىٰ الشام في ثلاثة آلاف[٢]:

اتَّقِ اللهَ الذي لا بُدَّ لكَ من لقائه، ولا مُنْتَهىٰ لكَ دونَه، ولا تُقاتِلَنَّ إلاّ مَنْ قاتَلَكَ، وسِرِ البَرْدَينِ[٣]، وغوِّرْ بالنّاسِ، ورَفِّه بالسَّيْر، ولا تَسِرْ أوَّلَ الليلِ، فإنَّ اللهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وقَدَّرَهُ مَقاماً لا ظَعَناً، فأرِحْ فيه بَدَنَكَ، ورَوِّحْ ظهرَكَ، فإذا وَقَفْتَ حينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ، أو حينَ ينفَجِرُ الفَجْر، فسِرْ علىٰ بَرَكَةِ اللهِ، فإذا لقيتَ العَدُوَّ فَقِفْ من أصحابِكَ وَسَطاً، ولا تَدْنُ مِنَ ٱلقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يريدُ أن يَنْشِبَ الحربَ، ولا تَباعَدْ عَنْهُم تباعُدَ مَن يَهابُ البأسَ حتىٰ يأتِيَكَ أمري، ولا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَانُهُمْ علىٰ قِتالِهِمْ قَبْلَ دُعائِهِمْ والإعذارِ إليهم.

★ ★ ★

---

(١) هو معقل بن قيس (أو عبد قيس) الرياحي، من بني يربوع (٠٠٠ - ٤٣هـ/ ٦٦٣م)، أدرك عصر النبوّة، ثم كان من أمراء الصفوف يوم الجمل. وولي شرطة علي بن أبي طالب، فلما خرج المستورد بن علفة، جهّز المغيرة معقلاً في ثلاثة آلاف، وسيّره لقتاله، فنشبت بينهما معركة على شاطىء دجلة، فتبارزا، فقتلا معاً (الزركلي: الأعلام ٧/ ٢٧١).

(٢) نهج البلاغة ٣/ ١٤.

(٣) أي: سر الغداة والعشيّ.

الفصل السادس:

وصيّته لقيس بن سعد

قال عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، يُوصي قيس بن سعد[1]، حين ولاّه مصر[2].

سِرْ إلى مِصْرَ فَقَدْ وَلَّيْتُكَها، واخرج إلى رحْلِكَ، وٱجمَعْ إليْكَ ثِقاتَك، ومَنْ أحْبَبْتَ أنْ يَصْحَبَكَ حتى تأتِيَها ومَعَكَ جُنْدٌ، فإنَّ ذلك أرْعَبُ لعَدُوِّكَ، وأعَزُّ لوَلِيِّكَ، فإذا أنْتَ قدِمتَها إن شاءَ اللّهُ فأحْسِنْ إلى المُحْسِنِ، وٱشتَدَّ على المُرِيبِ، وٱرفُقْ بالعامَّةِ والخاصَّةِ، فإنَّ الرِّفْقَ يُمْنٌ.

★ ★ ★

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة (٠٠٠ - ٦٠هـ/ ٦٨٠) والٍ صحابيّ، من دهاة العرب، ذوي الرأي والمكيدة في الحرب والنجدة، وأحد الأجواد المشهورين. كان شريف قومه غير مدافع، وكان يحمل راية الأنصار مع النبيّ (ﷺ)، ويلي أموره، صحب عليّاً في خلافته، فاستعمله على مصر (الزركلي: الأعلام ٥/ ٢٠٦).

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٢٢٧.

الفصل السابع:

وصيّته لشريح بن هانىء

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي شريح بن هانىء[1] لما جعله علىٰ مقدمته إلىٰ الشام[2]:

اتقِ اللهَ في كُلِّ صباحٍ ومساءٍ وخَفْ علىٰ نَفْسِكَ الدُّنيا الغَرورَ، ولا تأمَنْها علىٰ حالٍ، واْعلَمْ أنّكَ لمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كثيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخافَةَ مَكْروهِهِ، سَمَتْ بِكَ الأَهواءُ إلىٰ كثيرٍ منَ الضَّرَرِ، فكُنْ لِنَفْسِكَ مانِعاً رادِعاً، ولِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الحَفيظَةِ قامِعًا.

★ ★ ★

---

(١) هو شريح بن هانىء بن يزيد الحارثيّ (٠٠٠ – ٧٨هـ/ ٦٩م)، راجز، شجاع، من مقدمي أصحاب علي، كان من أمراء جيشه يوم الجمل، ولما كان يوم التحكيم بعث عليّ أبا موسى، ومعه أربعمائة رجل، عليهم شريح بن هانىء. قتل غازياً بسجستان (الزركلي: الأعلام ٣/ ١٦٢).

(٢) نهج البلاغة ٣/ ١١٣.

الفصل الثامن:

وصيّته لعبد اللّه بن العبّاس

قال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي عبد الله بن عباس[1] عند ٱستولائه إياهُ علىٰ البصرة[2].

سَعِ النَّاسَ بوَجْهِكَ ومَجْلِسكَ وَحُكْمِكَ، وإياكَ وٱلغَضَبَ فإنَّه طيرَةٌ مِنَ الشَّيطانِ، وٱعلمْ أنَّ ما قَرَّبَكَ منَ اللهِ يباعِدُكَ من النَّار، وما باعَدَكَ من اللهِ يُقَرِّبُكَ منَ النَّارِ.

★ ★ ★

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي عبد الله بن العبّاس لمّا بعثَه للاحتجاج علىٰ الخوارج[3]:

لا تُخاصِمْهُمْ بالقُرآنِ، فإنَّ القُرآنَ حَمَّالٌ ذو وجوهٍ تَقولُ ويقولونَ، ولكن حاجِجْهُمْ بالسُّنَّةِ، فإنَّهُمْ لنْ يَجِدوا عَنْها مَحِيصًا.

★ ★

(١) هو عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب القرشيّ الهاشميّ، أبو العبّاس (٣ق.هـ - ٦٨هـ/ ٦١٩ - ٦٨٧م)، حبر الأمّة، ولد بمكة، فلازم رسول الله (ﷺ) وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع عليّ الجمل وصفين، وكفّ بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. له في الصحيحين وغيرهما ٦٦٠ حديثاً (الزركلي: الأعلام ٤/ ٩٥).

(٢) نهج البلاغة ٣/ ١٣٦.

(٣) نهج البلاغة ٣/ ١٣٦.

الفصل التاسع:

وصيّته لمالك بن الحارث الأشتر

قال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي مالك بن الحارث الأشتر[1] حين ولاّه مصر[2]:

هذا ما أمَرَ به عبدالله عليٌّ أميرُ المؤمنينَ إلىٰ مالك بن الحارث الأشتَر في عَهْدِه إليه حينَ ولاه مصرَ، جِبايةَ خراجِها، وجِهادَ عَدُوِّها، وٱستِصلاحَ أهلِها، وعمارَةَ بلادِها، أمَرَهُ بتَقوىٰ الله وإيثارِ طاعَته، وٱتّباعِ ما أَمَرَ به في كتابه من فرائِضه وسُنَّته التي لا يَسْعَدُ أَحدٌ إلاّ باتّباعِها، ولا يَشْقىٰ إلاّ بالعُدول عنها، وأن يَنْصُرَ اللهَ تعالىٰ بيَده وقلبه ولسانه، فإنَّه جَلَّ ٱسمُهُ قد تكَفَّل بنَصْرِ مَن نَصَرَه، وإعزازِ مَنْ أعزّه، وأَمَرَهُ أنْ يكسِرَ نَفْسَهُ عند الشَّهواتِ ويَزَعَها عند الجَمَحاتِ، فإنَّ النَّفْسَ لأمَّارَةٌ بالسُّوءِ.

ثم ٱعلَمْ يا مالك أنّي وجَّهْتُكَ إلىٰ بلادٍ قد جرَتْ عليها دُوَلٌ قَبْلَكَ، من عَدْلٍ وجَوْرٍ، وأنَّ الناسَ يَنْظُرونَ من أمورك في مِثْل ما كُنْتَ تَنْظُر فيه من

---

(١) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعيّ، المعروف بالأشتر (٠٠٠ - ٣٧هـ/٦٥٧م)، كان رئيس قومه، أدرك الجاهلية. وسكن الكوفة، وكان له نسل فيها، شهد اليرموك وذهبت عينه فيها، وشهد يوم الجمل، وأيام صفين مع عليّ. وولاه علي «مصر» فقصدها، فمات في الطريق. له شعر جيّد (الزركلي: الأعلام ٥/٢٥٩).

(٢) نهج البلاغة ٢/ ٥٠ - ٦٨.

أمر الولاةِ قَبْلَكَ، ويقولونَ فيكَ ما كُنْتَ تقولُ فيهم، وإنَّما يُسْتَدَلُّ علىٰ الصَّالحينَ بما يُجري اللهُ لهُمْ على أَلْسُنِ عِباده، فلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخائِرِ إليكَ ذخيرَةُ العَمَلِ الصَّالحِ، فآملِك هواكَ وشُحَّ بنَفْسِكَ عمَّا لا يَحِلُّ لكَ، فإنَّ الشُّحَّ بالنَّفْسِ الإنصافُ منها فيما أَحَبَّت أو كَرِهَتْ.

وأشعِرْ قلبَكَ الرَّحْمَةَ للرَّعِيَّةِ، والمحبَّةَ لهُمْ، والطُفْ بهم، ولا تكونَنَّ عليهم سَبُعاً ضارِياً تَغْتَنِمُ أكلَهُمْ، فإنَّهم صِنفانِ، إمّا أَخٌ في الدينِ، وإمَّا نظيرٌ لكَ في الخُلُقِ، يفْرُطُ منْهُمُ الزَّلَلُ، وتَعرِضُ لَهُم العِلَلُ، ويؤتىٰ علىٰ أيديهِمْ في العمدِ والخطأ، فأعطِهِمْ من صَفْحِكَ وعَفْوِكَ مِثْلَ الذي تُحِبُّ أنْ يعطيَكَ اللهُ من عَفْوِهِ وصَفْحِهِ، فإنّك فَوْقَهُمْ، ووالي الأمر عليك فَوْقَكَ والله فَوْقَ مَنْ ولاّكَ، وقَدِ آستَكْفاكَ أمرَهُمْ وآبتَلاكَ بهم، فلا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لحربِ اللهِ فإنَّهُ لا قُوَّةَ لَكَ بنَقْمَتِهِ، ولا غِنىً بكَ عنْ عَفْوِهِ ورَحْمَتِهِ، ولا تَنْدَمنَّ علىٰ عَفْوِهِ، ولا تَبَجَّحَنَّ بعُقوبةٍ، ولا تُسْرِعَنَّ إلىٰ بادرَةٍ؛ وَجدْتَ منها مَنْدُوحَةً[١]، ولا تقولَنَّ: إنِّي مُؤَمَّرٌ آمِرٌ فأُطاعُ، فإنَّ ذلك إدغالٌ[٢] في القَلْبِ، ومَنْهَكَةٌ للدينِ، وتَقَرُّبٌ منَ الغَيْرِ فإذا أَحْدَثَ لكَ ما أَنْتَ فيه من سلطانِكَ أُبَّهةً أو مَخيلةً[٣] فآنظُرْ إلىٰ عِظَمِ مُلْكِ اللهِ تعالىٰ فَوْقَكَ، وقُدْرَتَهُ مِنْكَ علىٰ ما لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ من نَفْسِكَ، فإنَّ ذلكَ يُطامِنُ إليْكَ من طِماحِكَ[٤] ويَكُفُّ عَنْكَ من غَرْبِكَ[٥]، ويُضيء إليكَ بما عَزَبَ عَنْكَ من عَقْلِكَ.

---

(١) المندوحة: المتسع.
(٢) الإدغال: الفساد.
(٣) المخيلة: الكبرياء.
(٤) طماحك: ما تطمح إليه.
(٥) الغرب: التمادي.

وإيَّاكَ ومُساماةَ اللهِ في عَظَمَتِهِ، والتَّشبُّهَ به في جَبَروتِه، فإنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جبّارٍ، ويُهين كُلَّ مختالٍ.

أنصِفِ اللهَ، وأنصِفِ النَّاسَ من نَفْسِكَ، ومن خاصَّة أهْلِكَ، ومِمَّنْ لكَ فيه هوىً من رَعِيَّتِكَ، فإنَّك إلاّ تفْعَلْ تَظْلِمْ، ومَن ظَلَمَ عبادَ الله كان خَصْمَهُ دونَ عبادِهِ، ومَنْ خاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وكانَ للهِ حَرْباً حتىٰ ينزعَ ويتوبَ، وليسَ شيء أدعىٰ إلىٰ تَغْيير نِعمَة اللهِ وتعجيلِ نقْمَته من إقامةٍ علىٰ ظُلمٍ، فإنَّ اللهَ سَميعٌ دَعْوَةَ المُضْطهدينَ، وهُوَ للظّالمينَ بالمرصادِ.

ولْيَكُنْ أحبُّ الأمورِ إليكَ أوْسَطَها في الحقِّ، وأعمّها في العَدْل، وأجمعَها لِرِضا الرَّعِيَّةِ، فإنَّ سُخْطَ الخاصَّةِ يُغْتَفَرُ برضا العامَّةِ، وليس أَحَدٌ من الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ علىٰ الوالي مَؤونةً في الرَّخاء، وأقلَّ معونةً في البَلاءِ وأكرَهَ للإنصافِ وأَسْأَلَ بالإلحافِ، وأَقَلَّ شُكراً عِنْدَ الإعطاءِ وأبطأ عُذْراً عِنْدَ المَنْعِ، وأضعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمّاتِ الدَّهْرِ من أهلِ الخاصَّةِ، وإنَّ عَمودَ الدين، وجِماعَ المُسلمينَ والعُدَّةَ، للأعداءِ العامَّة منَ الأُمَّةِ، فليكُنْ صَغْوُكَ[1] لَهُمْ، ومَيْلُكَ مَعَهُمْ، وليكُنْ أَبْعَدُ رَعيَّتك مِنْكَ وأشْنَؤُهُم عِنْدَكَ أَطْلَبَهُمْ لعُيوبِ الناسِ، فإنّ في النّاسِ عيوباً الوالي أحقُّ بسَتْرِها، فلا تَكْشِفنَّ عَمّا غابَ عَنْكَ منها، فإنّماعَلَيْكَ تَطهيرُ ما ظَهَرَ لكَ، واللهُ حَكَمٌ علىٰ ما غابَ عَنْكَ منها، فٱستُرِ العَورَةَ ما ٱستَطَعْتَ، يسْتُرِ اللهُ ما تُحِبُّ سَتْرَهُ من عَيْبِكَ.

أَطْلِقْ عنِ الناسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وٱقطَعْ عَنْهُمْ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ، وتغابَ عنْ كُلِّ ما لا يَصِحُّ لكَ، ولا تَعجَلَنَّ إلىٰ تَصديقِ ساعٍ، فإنَّ الساعِيَ

---

(١) صغوك: استماعك، وإنصاتك.

غاشٌّ وإنْ تَشَبَّهَ بالنَّاصِحينَ.

ولا تُدْخِلَنَّ في مشورتِكَ، بَخيلاً فَيَعْدِلَ بكَ عَنِ ٱلفَضْلِ، ويَعِدَكَ الفقْرَ، ولا جَباناً فَيُضْعِفَكَ عَنِ الأُمورِ، ولا حَريصاً فيُزَيِّنَ لكَ الشَّرَهَ بالجورِ، فإنَّ البُخْلَ والجُبْنَ والحِرْصَ غَرائِزُ شَتَّىٰ يجْمَعُها سوءُ الظَّنِّ باللهِ.

وٱعلمْ أنَّ شرَّ وزَرائِكَ مَنْ كانَ للأشْرار قَبلَكَ وَزيراً، ومَنْ شرِكَهُم في الآثامِ فلا يكونَنَّ لكَ بطانةً، فإنَّهُمُ الأثَمَةُ، وإخوانُ الظَّلَمةِ، وأَنْتَ واجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرائِهم ونفاذِهِمْ، وليسَ عليه مِثْلُ آصارهم وأوزارِهِمْ ممَّن لم يُعاوِنْ ظالماً علىٰ ظُلمه، ولا آثماً علىٰ إثمه، أولئكَ أخفُّ عَلَيْكَ مَؤونَةً، وأحسنُ لكَ مَعونَةً، وأحنىٰ عَلَيْكَ عطفاً، وأقلَّ لِغَيْرِكَ إلفاً، فاتَّخِذ أولئكَ خاصَّةً لِخَلَواتِكَ وحَفَلاتِكَ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُم عِنْدَكَ أقولَهُمْ للحَقِّ، وأقَلُّهُم مساعَدةً فيما يكونُ منكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ تعالىٰ لأوليائه واقِعاً من هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ، ثمَّ رُضْهُمْ علىٰ ألاَّ يُطرُوكَ ولا يُبَجِّحوكَ بباطلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فإنَّ كَثْرَةَ الإطراءِ تُحدِثُ الزَّهْوَ، وتُدني إلىٰ العِزَّةِ، ولا يكونَنَّ المحسنُ والمسيءُ عِنْدَكَ بمَنْزِلَةٍ واحِدَةٍ، فإنَّ في ذلك تَزْهيداً لأهل الإحسانِ في الإحسانِ، وتدريباً لأهلِ الإساءَةِ علىٰ الإساءةِ، وأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ ما ألزَمَ نَفْسَهُ.

وٱعلَمْ أنَّه ليس شيءٌ أَدْعَىٰ إلىٰ حُسْنِ ظَنٍّ والٍ بِرَعِيَّته من إحسانه إليهم وتخفيف المؤونات عَنهم، وتَرْكِ ٱستِكراهه إياهُم علىٰ ما ليس له قِبَلَهُم، وليكُنْ منكَ في ذلك أمرٌ يجتَمعُ لكَ به حُسْنُ الظَّنِّ برَعِيَّتِكَ، فإنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يقطَعُ عَنْكَ نَصَباً طويلاً[1]، وإنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ به منْ حَسُنَ بلاؤكَ عِنْدَهُ، وأنَّ أحَقَّ مَنْ ساءَ ظَنُّكَ به لَمَنْ ساءَ بلاؤكَ عِنْده.

---

(١) النصب: الجهد والمشقة.

ولا تَنْقُضْ سُنَّةً صالِحةً عَمِلَ بها صدورُ هذه الأُمَّةِ، وٱجتَمَعَتْ بها الإلفةُ، وصَلُحَتْ عليها الرَّعِيَّةُ، ولا تُحِدثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بشيءٍ من ماضي تِلْكَ السُّنَنِ، فيكون الأَجْرُ لِمَن سنَّها، والوِزْرُ عَلَيْكَ بما نَقَضْتَ منها.

وأكثِرْ مُدارسَةَ العُلماء، ومُناقَشَةَ الحُكَماءِ في تَثْبيتِ ما صَلُحَ عليه أمرُ بلادِكَ، وإقامَةِ ما ٱستَقامَ به الناسُ قَبْلَكَ.

وٱعلَمْ أنَّ الرَّعِيَّةَ طبقاتٌ، لا يَصْلُحُ بعْضُها إلاّ ببعْضٍ ولا غِنىً ببعضها عَنْ بعضٍ، فمنها جنودُ اللهِ ومنها كُتَّابُ العامَّة وٱلخاصَّةِ، ومنها قُضاةُ العَدْلِ، ومنها عُمَّالُ الإنصافِ والرِّفْقِ، ومنها أهلُ الجِزْيَةِ والخراجِ من أهل الذِّمَّةِ ومُسْلِمَةِ الناسِ، ومنها التُّجارُ وأهلُ الصِّناعاتِ، ومنها الطَّبَقَةُ السُّفْلىٰ من ذوي الحاجة والمسكَنَةِ، وكُلٌّ قد سمَّىٰ اللهُ سَهْمَهُ، ووَضَعَ علىٰ حَدِّه فريضَتَهُ في كتابه وسُنَّةِ نَبيِّه ﷺ، عهداً منه مَحْفوظاً.

فالجنودُ بإذنِ اللهِ حُصونُ الرَّعِيَّةِ، وزَيْنُ الوُلاةِ، وعِزُّ الدِّينِ، وسُبُلُ الأمنِ، ولَيْسَ الرَّعِيَّةُ إلاّ بِهِمْ، ثُمَّ لا قَوامَ للجُنودِ إلاّ بما يُخرِجُ اللهُ لَهُمْ منَ الخراجِ الذي يَقْوُونَ به في جهادِ عَدُوِّهِمْ، ويعْتَمدونَ عَلَيْه فيما يُصلِحُهُمْ، ويكونُ من وَراءِ حاجَتهم، ثمَّ لا قَوام لهذين الصِّنفَيْن إلاّ بالصِّنْفِ الثَّالث من القُضاةِ والعُمَّالِ والكُتَّابِ، لما يحكُمونَ من المعاقدِ، ويجمَعونَ من المنافعِ، ويُؤتمنونَ علَيْه من خَواصِّ الأُمورِ وعَوامِّها، ولا قوامَ لَهُمْ جميعاً إلاّ بالتُّجار وذوي الصِّناعات فيما يجتمون علَيْه من مرافِقِهِمْ، ويَقومونَ به في أسواقِهِمْ، ويكْفونَهُم من الرِّفْق بأيديهم ما لا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ الطبقةُ السُّفْلىٰ من أَهْلِ الحاجةِ والمسْكَنَةِ الذينَ يحِقُّ رِفْدُهُمْ ومَعونَتُهم، وفي اللهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ، ولِكُلٍّ علىٰ الوالي حَقٌّ بِقَدْرِ ما يُصْلِحُهُ.

وليسَ يُخْرِجُ الوالي من حقيقةِ ما أَلزَمَهُ اللهُ من ذلك إلاّ بالاهتمامِ والاستِعانةِ باللهِ، وتَوْطينِ نَفْسِهِ علىٰ لُزومِ الحقِّ والصَّبْرِ عليْه فيما خَفَّ عَلَيْهِ أو ثَقُلَ، فوَلِّ من جُنودِكَ أَنْصَحَهُمْ في نَفْسِكَ للهِ تعالىٰ ولرَسوله، ولإمامِكَ، وأنقاهُمْ جَيباً، وأفضَلَهُمْ حِلْماً، مِمَّنْ يُبْطِىء عَنِ ٱلغَضَبِ، ويستريحُ إلىٰ العُذْرِ، ويَرْفَقُ بالضُّعَفاءِ، ويَنْبو عنِ العُنْفُ، ولا يَقْعُدُ به الضَّعْفُ، ثمَّ ٱلحِقْ بذَوي الأحساب وأهلِ البُيوتاتِ الصالِحَةِ، والسَّوابقِ الحَسَنَةِ أهلَ النَّجدةِ والشَّجاعَةِ والسَّخاء والسَّماحةِ، فإنَّهمْ جِماعُ الكَرَمِ، وشُعَبُ العُرْفِ، ثمَّ تَفَقَّدْ من أمورِهِمْ ما يتفقَّدُهُ الوالدانِ من وُلْدِهما، ولا يتفاقَمَنَّ في نَفْسِكَ شيءٌ قوَّيتَهُمْ به، ولا تَحقِرنَّ لُطفاً، تعاهِدُهُمْ به وإنْ قَلَّ، فإنَّه داعِيةٌ لهُمْ إلىٰ بذلِ النَّصيحَةِ لَكَ، وحُسْنِ الظَّنِّ بكَ.

ولا تَدَعْ تَفَقُّدَ لطيفِ أمورِهِمْ ٱتِّكالاً علىٰ جَسيمها، فإنَّ لليسيرِ من لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعونَ به، وللجَسيمِ مَوْقِعاً لا يَسْتَغنون عَنْهُ.

وليَكُنْ آثَرُ رؤوس جُندِكَ عِنْدَكَ مَنْ واساهم في مَعونَتِهِ، وأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ من جَدَّته بما يسَعُهُم، ويَسَعُ مَنْ وراءهُمْ من خُلوفِ أهليهم حتىٰ يكونَ هَمُّهُمْ هَمّاً واحداً في جهادِ العَدُوِّ، فإنَّ عَطفَكَ عَليهِمْ يعطِّفُ عَلَيْكَ قُلوبَهُمْ، وإنَّ أَفْضَلَ قُرَّة عَيْنِ الوُلاةِ ٱستِقامَةُ العَدْلِ في البِلادِ، وظُهورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وإنَّه لا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إلاّ بسلامَةِ صَدْرِهِمْ، ولا تَصُحُّ نَصيحَتُهُمْ إلاّ بحيطتِهِمْ علىٰ ولاةِ أمورِهِمْ، وقِلَّةِ استثقالِ دُوَلِهِمْ، وترك ٱستبطاءِ ٱنقِطاعِ مُدَّتِهِمْ، فٱفسَحْ في آمالِهِمْ، وواصِلْ في حُسْنِ الثَّناء عَلَيْهِمْ، وتَعْديدِ ما أَبْلىٰ ذوو البلاءِ مِنْهُمْ، فإنَّ كثرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ فعالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجاعَ، وتُحَرِّضُ الجَبانَ إن شاءَ الله.

ثُمَّ ٱعرِفْ لكُلِّ امرئٍ منهم ما أبلىٰ، ولا تُضيفَنَّ بلاءَ امرئٍ إلىٰ غَيره، ولا تُقَصِّرَنَّ به دونَ غايةِ بلائِهِ، ولا يدعُوَنَّكَ شَرَفُ امرئٍ إلىٰ أن تُعَظِّمَ من بلائهِ ما

كان صغيراً، ولا صَنعَةُ ٱمرئٍ إلىٰ أنْ تَسْتَصغِرَ من بلائهِ ما كانَ عظيماً.

واردُدْ إلىٰ اللهِ ورسوله ما يُضلِعُكَ منَ الخطوبِ، ويشتبهُ عَلَيْكَ منَ الأُمورِ، فقد قال اللهُ تعالىٰ لقومٍ أَحَبَّ إرشادَهُمْ: ﴿يا أَيُّها الذينَ آمَنُوا أَطيعوا اللهَ وأطيعُوا الرَّسولَ وأولي الأمرِ مِنْكُمْ فإنْ تنازَعْتُمْ في شيءٍ فَرُدّوهُ إلىٰ اللهِ والرسولِ﴾[1]، فالرادُّ إلىٰ اللهِ هو الآخِذُ بمُحكَمِ كتابه، والرادُّ إلىٰ الرسولِ الآخِذُ بسُنَّته الجامِعَة غَيْرِ المُتَفرِّقةِ.

ثُمَّ ٱختَرْ للحُكْمِ بينَ النَّاسِ أَفْضَل رَعِيَّتِكَ في نَفْسِكَ مِمَّنْ لا تَضيقُ به الأمورُ، ولا تُمحِكُه[2] الخصومُ، ولا يتمادىٰ في الزَّلَّةِ، ولا يحصَرُ مِنَ ٱلفِيءِ إلىٰ الحقِّ إذا عَرَفَهُ، ولا تُشْرِفُ نَفْسُهُ علىٰ طَمَعٍ، ولا يكتفي بأدنىٰ فهْمٍ دونَ أقصاهُ، أوقَفَهُمْ في الشُّبُهاتِ، وآخَذَهُمْ بالحِجَجِ، وأقلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُراجَعَةِ الخَصْمِ، وأصبَرَهم علىٰ تَكَشُّفِ الأُمورِ، وأَحْزَمَهُمْ عند إيضاحِ الحُكْمِ مِمَّن لا يَزْدَهيه إطراءٌ، ولا يَسْتَميلُهُ إغراءٌ، وأولئك قليلٌ.

ثمَّ أَكثِرْ تعاهُدَ قضائه، وٱفسَحْ لهُ في البَذْلِ ما يزيحُ عِلَّتَهُ، وتَقِلُّ معه حاجَتَهُ إلىٰ النَّاسِ، وأعطِهِ مِنَ المنزلَةِ لدَيْكَ ما لا يَطْمَعُ فيه غَيْرُهُ من خاصَّتِكَ، ليأمَنَ بذلك اغتيالَ الرجالِ له عِنْدَكَ، فٱنظُرْ في ذلك نَظَراً بَليغاً، فإنَّ هذا الدِّينَ قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يُعْمَلُ فيه بالهوىٰ، وتُطْلَبُ به الدُّنيا.

ثمَّ ٱنظُرْ أمورَ عُمّالِكَ، فٱستَعْمِلْهُمْ ٱختِباراً، ولا تُوَلِّهِمْ مُحاباةً وأَثَرَةً، فإنَّهُما جِماعٌ من شُعَبِ الجورِ والخِيانَةِ، وتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التجرِبَةِ

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) تمحكه: تغضبه.

والحَياءِ من أهلِ البيوتاتِ الصَّالِحَةِ والقَدَمِ في الإسلامِ ٱلمُتَقَدِّمة، فإنَّهم أكرَمُ أخْلاقاً، وأصَحُّ أعراضاً، وأقَلُّ في المطامِعِ إسرافاً، وأبلغُ في عواقِبِ الأمور نَظَراً، ثُمَّ أَسْبغ عليهم الأرزاقَ، فإنَّ ذلك قُوَّةٌ لهُمْ علىٰ ٱستِصلاحِ أنفُسِهِمْ، وغِنىً لهُمْ عَنْ تناوُلِ ما تحْتَ أيديهِمْ، وحُجَّةٌ عليهم إنْ خالَفوا أمْرَكَ أو ثَلَموا أمانَتَكَ، ثمَّ تَفَقَّدْ أعمالَهُمْ، وٱبعَثِ العُيونَ من أهلِ الصِّدقِ والوفاءِ عَلَيْهِم، فإنَّ تعاهُدَكَ في السِّرِّ لأمورِهم حَدْوَةٌ لَهُمْ علىٰ ٱستِعمال الأمانةِ والرِّفق بالرَّعِيَّةِ.

وتَحَفَّظ من الأَعوانِ، فإنْ أحَدٌ منهم بسطَ يدَهُ إلىٰ خِيانةٍ ٱجتَمَعَتْ بها عليه عِنْدَكَ أخبارُ عُيونِكَ ٱكتفيتَ بذلك شاهداً، فَبَسطْتَ عليهِ العُقوبةَ في بَدَنه، وأخَذْتَهُ بما أصابَ من عَمَلِهِ، ثمَّ نَصَبتَهُ بمقامِ الذِّلَّةِ، ووَسَمْتَهُ بالخِيانةِ، وقَلَّدْتَهُ عارَ التُّهَمَةِ.

وتَفَقَّدْ أمرَ الخراجِ بما يُصلِحُ أهْلَهُ، فإنَّ صلاحَهُمْ وصلاحَهُ صلاحٌ لمَنْ سواهُمْ، ولا صَلاحَ لمَنْ سواهُمْ إلاَّ بهم، لأنَّ الناسَ كُلَّهُمْ عِيالٌ علىٰ الخراجِ، لأنَّ ذلك لا يُدْرَكُ إلاّ بالعِمارَةِ، ومَنْ طلَبَ الخراجَ بغَيْرِ عِمارَةٍ أَخْرَبَ البلادَ، وأهلَكَ العِبادَ، ولم يسْتَقِمْ أمرُهُ إلاّ قليلاً، فإنْ شَكَوا ثِقَلاً أو عِلَّةً أو انقِطاعَ شُربٍ أو بالَّةٍ[1] أو إحالَةَ أَرْضٍ ٱغتمرها غَرَقٌ أو أجحَفَ بها عَطَشٌ خَفَّفْتَ عنهم بما ترجوا أن يصلحَ به أمرُهم، ولايثقلنّ عليك شيءٌ خَفَّفْتَ به المَؤونَةَ عَنْهُمْ، فإنَّهُ ذُخْرٌ يعودونَ به عَلَيْكَ في عِمارَةِ بلادِكَ، وتَزْيينِ ولايَتِكَ معَ استجلابِكَ حُسْنَ ثنائِهِمْ، وتَبَجُّحِكَ بٱستِفاضَةِ العَدْلِ فيهِمْ، مُعْتَمِداً فَضل قُوَّتِهِمْ بما ذخَرْتَ عِندَهُمْ من إجمامِكَ لهُمْ، والثِّقة منهم بما عَوَّدْتَهُمْ من عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ، ورِفْقِكَ بهِمْ،

---

(١) البالّة: ما يبلّ الحلق أو الأرض.

فَرُبَّما حَدَثَ من الأُمورِ ما إذا عَوَّلْتَ فيه عَلَيْهِمْ من بَعْدُ ٱحتَملوهُ طيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ به، فإنَّ العُمران يحتَمِلُ ما حَمَّلتَهُ، وإنَّما يؤتىٰ خَرابُ الأَرْضِ من إعوازِ أهلها، وإنَّما يُعوزُ أهلَها لإسرافِ أنفُسِ الولاةِ على الجَمْعِ، وسوءِ ظنِّهم بالبَقاءِ، وقِلَّةِ ٱنتفاعِهِمْ بالعِبَرِ. وٱستَعْمِلْ مَنْ يُحِبّ أنْ يَدَّخِرَ حُسْنَ الثَّناءِ مِنَ الرَّعِيَّةِ، والمثوبةَ منَ اللهِ عزَّ وجلَّ، والرِّضا منَ الإمامِ.

ثمَّ انظُرْ في حالِ الكُتَّابِ، فوَلِّ أمورَكَ خَيْرَهُم، وٱخصُصْ رسائِلكَ التي تُدْخِلُ فيها مَكايِدَكَ وأسرارَكَ بأجمعِهِمْ لوجودِ صالحِ الأخلاق مِمَّن لا تُبْطِرُهُ الكرامَةُ فيَجْتَرِىء بها عَلَيكَ في خِلافٍ لكَ بحَضْرَةِ مَلأ، ولا تُقَصِّر به الغَفْلَةُ عن إيرادِ مُكاتَبات عُمّالِكَ عَلَيْكَ، وإصدارِ جَوابها علىٰ الصَّواب منها عَنْكَ، وفيما يُؤخذ لكَ، ويُعطى مِنْكَ، ولا يُضعِفُ عَقْداً ٱعتقَدَهُ لكَ، ولا يَعْجَزُ عن إطلاقِ ما عُقِدَ عَلَيْكَ، ولا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسه في الأمور، فإنَّ الجاهِلَ بِقدْرِ نَفسِهِ يكون بِقَدْر غَيره أَجْهَلَ.

ثمَّ لا يكُنِ ٱختِيارُكَ إيّاهُمْ علىٰ فراسَتِكَ وٱستِنامَتِكَ، وحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فإنَّ الرِّجالَ يتعرَّضُونَ لِفراساتِ الوُلاةِ بتَصَنُّعِهِمْ وحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وليس وراءَ ذلك من النَّصيحة والأمانَةِ شيءٌ، ولكن ٱختبِرهُمْ بما وَلُوا للصالحينَ قبلَكَ، فٱعمِدْ لأحسَنِهِمْ كانَ في العامَّة أثراً، وأعْرَفِهِمْ بالأمانةِ وَجْهاً، فإنَّ ذلكَ دليلٌ علىٰ نصيحَتِكَ للهِ ولِمَنْ وَلِيْتَ أمرَهُ.

وٱجْعَلْ لرأسِ كُلِّ أمرٍ من أمورِكَ رأساً منهم، لا يقهَرُهُ كبيرها، ولا يَتَشَتَّتُ عليه كثيرُها، ومَهما كان في كُتَّابِكَ من عَيْبٍ فتغابَيْتَ عَنْهُ أُلزِمتَهُ.

ثُمَّ ٱستَوْصِ بالتُّجارِ وذوي الصِّناعات، وأَوْصِ بهم خَيْراً، المقيمُ منهم، والمضطَرِبُ بماله، وٱلمُتَرَفِّقُ ببدنِه، فإنَّهُمْ مَوادُّ المنافعِ،

وأَسْبابُ المرافِقِ وجُلاَّبُها منَ المباعِدِ والمطارِحِ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وسَهْلِكَ وجَبَلِكَ، وحَيْثُ لا يلتَئِمُ الناسُ لمواضِعِها، ولا يجْتَرِئونَ علَيْها، فإنَّهُمْ سلْمٌ لا تُخافُ بائِقَتُهُ[1]، وصُلْحٌ لا تُخْشىٰ غائِلَتُهُ.

وتَفَقَّد أمورَهُمْ بحَضْرَتِكَ وفي حواشي بلادِكَ، وٱعْلَمْ أنَّ في كثيرٍ منهم ضِيقاً فاحشاً، وشُحّاً قبيحاً، وٱحتِكاراً للمَنافعِ في المبايَعاتِ، وذلكَ باب مَضَرَّةٍ للعامَّةِ، وعَيْبٌ علىٰ الوُلاةِ، فٱمنَعْ منَ الاحتكارِ فإنَّ رسول اللهِ ﷺ منع منه، وليكُنِ البيعُ بيعاً سَمْحاً بموازينِ عَدْلٍ، وأسعارٍ لا تُجْحِفُ بالفريقينِ، البائِع والمبتاع، فمَنْ قارَفَ حُكْرَهُ بَعْدَ نَهْيِكَ إياهُ فَنكِّلْ به وعاقِبْهُ من غَيْرِ إسرافٍ.

ثُمَّ اللهَ اللهَ في الطَّبقةِ السفلىٰ من الذينَ لا حيلةَ لهُمْ، والمساكين، والمحتاجينَ، وأهلِ البؤسىٰ والزَّمنىٰ، فإنَّ في هذه الطَّبقة قانِعاً ومُعْتَرّاً، فٱحْفَظْ للهِ ما استحفظَكَ من حَقِّهِ فيهِمْ، وٱجعَلْ لهُمْ قِسْماً من بيتِ مالِكَ، وقِسْماً من غَلاَّت صوافي الإسلامِ في كُلِّ بلَدٍ[2]، فإنَّ للأَقْصىٰ مِنْهُمْ مِثْلَ الذي للأدنىٰ، وكُلٌّ قدِ ٱسترعَيْتَ حقَّهُ، فلا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بطَرٌ، فإنَّكَ لا تُعْذَرُ بتَضْييعِكَ التافِهَ لإحكامِكَ الكثيرَ المُهِمَّ، فلا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، ولا تُصَعِّر خَدَّكَ لهُمْ، وتَفَقَّدْ أمورَ مَنْ لا يصلُ إليكَ منهم مِمَّن تقتحِمُهُ العُيونُ، وتَحقِرُهُ الرِّجالُ، ففَرِّغْ لأولئكَ ثِقَتَكَ من أهْلِ الخَشْيَةِ والتَّواضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إليك أمورَهم، ثمَّ ٱعملْ فيهم بالإعذارِ إلىٰ اللهِ سُبْحانَهُ وتعالىٰ يوْمَ تَلْقاهُ، فإنَّ هؤلاء من بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أحوجُ إلىٰ الإنصافِ من غَيْرِهم، وكُلٌّ فأَعْذِرْ إلىٰ الله تعالىٰ في تأدِيةِ حَقِّه إليه.

---

(١) البائقة: الداهية.

(٢) أي ما تستصفيه الدولة من الزكاة والخراج ونحوهما.

وتَعَهَّدْ أَهْلَ اليُتم، وذوي الرِّقَّةِ في السِّنِّ مِمَّنْ لا حِيلةَ لهُ، ولا ينصِبُ للمسألةِ نَفْسَهُ، وذلك علىٰ الولاةِ ثَقيلٌ، والحقُّ كُلّهُ ثَقيلٌ، وقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ علىٰ أقوامٍ طلبوا العاقِبَةَ فَصَبروا أنفُسَهُمْ، ووَثِقوا بصِدْقِ مَوعودِ اللهِ لهُمْ.

وٱجْعَلْ لِذوي الحاجاتِ مِنْكَ قِسماً تُفَرِّغُ لهُمْ فيه شَخْصَكَ، وتَجْلِسُ لهُمْ فيه مَجْلِساً عامّاً، فَتَتَواضَعَ فيه للهِ الذي خَلَقَكَ، وتُبعِد عَنْهُمْ جُندَكَ وأعوانَكَ من أحراسِكَ وشُرَطِكَ حتىٰ يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ[1]، فإني سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ في غَير مَوْطِنٍ «لنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يؤخَذُ للضَّعيفِ فيها حَقَّهُ منَ القَوِيِّ غير مُتَعْتَعٍ».

ثمَّ ٱحتَمِلِ الخُرْقَ منهم والعِيَّ، ونَحِّ عَنْكَ الضِّيقَ والأَنَفَ يَبْسُطِ اللهُ عليكَ بذلك أكنافَ رَحْمَتِهِ، ويوجِبْ لكَ ثَوابَ طاعَتِه، وأعطِ ما أعْطَيْتَ هنيئاً، وٱمنَعْ في إجمالٍ وإعذارٍ.

ثُمَّ أمورٌ من أُمورِكَ لا بُدَّ لكَ من مباشَرتِها، منها إجابةُ عُمّالِكَ بما لا يُغْني عَنْهُ كُتّابُكَ، ومنها إصدارُ حاجاتِ الناسِ عِنْدَ وُرودِها عليْكَ مِمَّا تُحْرِجُ به صدورَ أعوانِكَ، وأمضِ لكُلِّ يومٍ عَمَلَهُ، فإنَّ لِكُلِّ يومٍ ما فيه، وٱجعَلْ لنَفْسِكَ فيما بينَكَ وبَيْنَ اللهِ أفضَلَ تِلْكَ المَواقيتِ، وأَجْزَلَ تِلْكَ الأَقسامِ، وإنْ كانَتْ كُلُّها للهِ إذا صَلُحَتْ فيها النِّيَّةُ، وسَلِمَتْ مِنْها الرَّعِيَّةُ.

ولْيَكُنْ في خاصَّةِ ما تُخْلِصُ للهِ به دينَكَ إقامَةُ فرائِضهِ التي هي لَهُ خاصَّة، فأعطِ اللهِ من بَدَنِكَ في لَيْلِكَ ونَهارِكَ، ووَفِّ ما تَقَرَّبْتَ به إلىٰ اللهِ تعالىٰ من ذلك كامِلاً غَيْرَ مثلومٍ، ولا مَنْقوصٍ بالغاً من بَدَنِكَ ما بَلَغَ.

---

(١) متعتع: متردّد، متلعثم.

وإذا قُمْتَ في صلاتِكَ للناسِ فلا تكونَنَّ مُنَفِّراً ولا مُضَيِّعاً، فإنَّ في الناسِ مَنْ به العلةُ ولهُ الحاجةُ، وقد سألْتُ رسولَ اللهِ ﷺ حين وجَّهني إلىٰ اليمَنِ كيفَ أصلّي بهم؟ قال: «كصلاةِ أَضْعَفِهِمْ، وكُنْ بالمؤمنينَ رَحيماً».

وأمّا بعدَ هذا فلا يطولنَّ احتجابُكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فإنَّ ٱحتِجابَ الولاةِ عنِ الرَّعِيَّةِ شعبةٌ من الضِّيق، وقِلَّةُ عِلْمٍ بالأمورِ، والاحتجابُ منهم يقطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ ما ٱحتَجَبوا دونَه، فيَصْغَرُ عِنْدَهُمُ الكبيرُ، ويعظُمُ الصغيرُ، ويَقْبُحُ الحسنُ، ويَحْسُنُ القبيحُ، ويُشابُ الحقُّ بالباطِلِ، وإنَّما الوالي بَشَرٌ لا يعرِفُ ما يُواري عنه الناسُ من الأمور، وليست علىٰ الحقِّ سِماتٌ تُعرَف بها ضروبُ الصِّدْقِ من الكَذِبِ، وإنَّما أنتَ أحدُ رَجُلَيْنِ، إمّا ٱمرؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بالبَذْلِ في الحَقِّ، ففيمَ ٱحتجابُكَ من واجبِ حَقٍّ تُعْطيهِ، أو فِعْلٍ كريمٍ تُسديهِ؟ وإمّا ٱمْرُؤٌ مبتَلىٰ بالمَنْعِ، فما أسرعَ كفَّ الناسِ عَنْ مسألتكَ إذا يَئِسوا من ذلك! مع أنَّ أكثَرَ حاجاتِ الناس إليكَ مِمّا لا مؤونَةَ فيه عليْكَ من شَكاةِ مَظْلَمَةٍ أو طَلَبِ إنصافٍ في معاملَةٍ.

ثمَّ إنَّ للوالي خاصةً وبطانةً، فيهم ٱستئثارٌ وتطاوُلٌ وقلَّةُ إنصافٍ في مُعامَلَةٍ، فاحسِمْ مادَّةَ ذلِكَ بقَطْعِ أسبابِ تِلْكَ الأحوالِ، ولا تَقْطَعَنَّ لأَحَدٍ من حاشِيتِكَ وخاصَّتِكَ قطيعَةً، ولا يَطمَعَنَّ منك في ٱعتِقادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بمَن يليها مِنَ النَّاسِ في شُربٍ أو عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يحْمِلونَ مؤونَتَهُ علىٰ غَيْرِهم، فيكونَ مَهْنَأُ ذلك لهُمْ دونَكَ، وعَيْبُهُ عَلَيْكَ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

والزِمِ الحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ من القريب والبَعيد، وكُنْ في ذلكَ صابِراً مُحْتَسِباً، واقِعاً ذلك من قَرابَتِكَ وخاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وٱبتَغِ عاقِبتَه بما يُثْقِلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فإنَّ مغبَّةَ ذلك محمودَةٌ.

وإنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بكَ حَيْفاً فأصحِرْ لهُمْ بعُذْرِكَ[1]، واعدِلْ عَنْكَ ظنونَهُمْ بإصحارِكَ، فإنَّ ذلك إعذاراً تبلُغُ به حاجَتَكَ من تقويمهم علىٰ الحقِّ.

ولا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دعاكَ إليه عَدُوُّكَ وللهِ فيه رِضاً، فإنَّ في الصُّلْحِ دَعَةً لجنودِكَ، وراحةً من هُمومِكَ وأمناً لبلادِكَ، ولكنِ ٱحذَرْ كُلَّ الحذرِ من عَدُوِّكَ بعْدَ صُلْحِه، فإنَّ العَدُوَّ رُبَّما قارَبَ ليَتَغَفَّلَ، فخُذْ بالحزمِ، وٱتَّهِمْ في ذلك حُسْنَ الظَّنِّ، فإنْ عَقَدْتَ بينَكَ وبينَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً وألبستَهُ مِنْكَ ذمَّةً فحُط عَهْدَكَ بالوفاءِ وٱرْعَ ذمَّتَكَ بالأمانةِ، وٱجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دونَ ما أعطيتَ، فإنَّه ليسَ من فرائِضِ اللهِ شيءٌ الناسُ أشدّ عليه ٱجتماعاً مع تَفَرُّقِ أهوائهم، وتَشَتُّتِ آرائهم من تعظيم الوفاء بالعُهود، وقَد لَزِمَ ذلك المشرِكونَ فيما بينَهُمْ دونَ المسلمينَ لما ٱستوبَلوا[2] من عواقبِ الغَدْرِ، فلا تغدُرَنَّ بذِمَّتِكَ، ولا تخيسَنَّ بعَهْدِكَ، ولا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ، فإنَّهُ لا يجْتَرىء علىٰ اللهِ إلاّ جاهِلٌ شقيٌّ، وقد جَعَلَ الله عَهْدَهُ وذمَّتَهُ أمناً قضاهُ بينَ العِبادِ برَحْمَتِهِ، وحَرَماً يسكنون إلىٰ مَنَعَته، ويستفيضون إلىٰ جوارِه، فلا إدغالَ ولا مُدالسةً ولا خداعَ فيه.

ولا تعقِدْ عَقْداً تجوزُ فيه العِلَلُ، ولا تُعَوِّلَنَّ علىٰ لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التأكيد والتَّوْثِقةِ، ولا يَدْعُوَنَّكَ ضيقُ أمرٍ لَزِمَكَ فيهِ عَهْدُ اللهِ إلى طَلَبِ ٱنْفِساخِهِ بغَيْرِ الحقِّ، فإنَّ صَبْرَكَ علىٰ ضيقٍ ترجو ٱنفِراجَهُ، وفَضْلُ عاقِبَتِهِ خَيْرٌ من عُذْرٍ تَخافُ تَبِعَتَهُ، وأن تُحيطَ بكَ منَ اللهِ طِلْبَةٌ، فلا تستقيلَ فيها دُنْياكَ ولا آخِرَتُكَ.

---

(١) أي: جاهِرْ به.
(٢) استوبلوا: خافوا وبالها (نتيجتها).

وإيّاك والدِّماءَ وسَفْكَها بغَيْرِ حِلِّها، فإنَّه ليْسَ شيءٌ أدعىٰ لنِقْمَةٍ، ولا أعظَمَ تَبِعةً، ولا أحرىٰ بزَوالِ نِعمةٍ وانقطاعِ مُدَّةٍ من سَفْكِ الدِّماءِ بغَيرِ حَقِّها، واللهُ سبحانَهُ مُبْتَدِئٌ بالحُكْمِ بينَ العِبادِ فيما تسافكوا منَ الدماءِ يوم القيامةِ، فلا تُقَوِّيَنَّ سُلْطانَكَ بسَفْكِ دمٍ حرامٍ، فإنَّ ذلك مِمّا يُضْعِفُهُ ويوهِنُهُ بلْ يزيلُهُ وينقُلُهُ، فلا عُذْرَ لك عِنْدَ اللهِ ولا عِندي في قَتْلِ ٱلعَمْدِ، لأَنَّ فيه قَوَد ٱلبَدَنِ؛ فإنِ ٱبتُليتَ بخَطإٍ وأفْرَطَ عليك سَوْطُكَ أو سَيْفُكَ أو يَدُكَ بعُقوبَةٍ، فإنَّ في الوَكْزَةِ فما فَوْقَها مَقْتَلَةً، فلا تَطْمَحَنَّ بكَ نَخْوَةُ سُلْطانِكَ عَنْ أنْ تؤدّيَ إلىٰ أولياءِ المقتولِ حَقَّهُمْ.

وإيّاكَ والإعجابَ بنَفْسِكَ، والثِّقَةَ بما يُعْجِبُكَ منها، وحبَّ الإطراءِ، فإنَّ ذلكَ من أوثَقِ فُرَصِ الشَّيطان في نَفْسه ليمحَقَ ما يكونُ من إحسانِ المحسنينَ.

وإيّاكَ والمنَّ علىٰ رعيَّتِكَ بإحسانِكَ، والتَّزَيُّدَ فيما كان من فِعْلِكَ، وأن تَعِدَهُم فَتُتْبِع مَوْعِدَكَ بخُلْفٍ، فإنَّ المنَّ يُبْطِلُ الإحسان، والتَّزَيُّدَ يُذْهِبُ بنورِ الحقِّ، والخُلْفُ يوجبُ المقتَ عِنْدَ اللهِ والنَّاسِ، قال الله تعالىٰ: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقولوا ما لا تَفْعلونَ﴾[1].

وإيّاكَ والعَجَلَةَ بالأُمورِ قَبْلَ أوانِها، أوِ التَّسَقُّطَ فيها عِنْدَ إمكانِها، أوِ اللجاجَةَ فيها إذا تنَكَّرَتْ، أوِ الوَهَنَ عَنْها إذا ٱستَوضَحَتْ، فضَعْ كُلَّ أمرٍ مَوْضِعَهُ، وأوقِع كلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ.

وإيّاكَ والاستِئْثارَ بما الناسُ فيه أُسْوَةٌ، والتَّغابي عمّا يُعْنىٰ به ممّا قد وَضَحَ لعُيونِ النَّاظِرينَ، فإنَّهُ مأخوذٌ مِنْكَ لغَيْرِكَ، وعَمّا قليلٍ تنكَشِفُ

---

(١) سورة الصف، الآية ٣.

عَنْكَ أَغْطِيَةُ الأُمورِ، ويُنْتَصَفُ مِنْكَ للمَظْلومِ.

املِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وسَوْرَةَ حَدِّكَ، وسَطْوَةَ يدِكَ، وغَرْبَ لسانِكَ، وٱحْتَرِسْ من كُلِّ ذلكَ بكفِّ البادِرَةِ، وتأخيرِ السَّطْوَةِ يَسْكُنْ غَضَبُكَ فتملِكَ الاختيارَ، ولَنْ تُحكَمَ ذلك من نَفْسِكَ حتىٰ تكثُرَ هُمومُكَ بذكرِ المعادِ إلىٰ رَبِّكَ.

والواجِبُ عَلَيْكَ أنْ تَتَذكَّرَ ما مضىٰ لمَنْ تَقدَّمَك من حكومةٍ عادِلةٍ، أو سُنَّةٍ فاضِلَةٍ، أو أثَرٍ من نَبيِّنا ﷺ، أو فريضَةٍ في كتابِ اللهِ، فتَقْتَدي بما شاهَدْتَ ممّا عَمِلنا به فيها، وتَجْتَهِدَ لِنَفْسكَ في ٱتِّباعِ ما عَهِدْتُ إليكَ في عَهْدي هذا، وٱستَوْثقتُ به من الحجَّةِ لنَفْسي عَلَيْكَ، لكيلا تكونَ لكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إلىٰ هَواها.

وأنا أسألُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وعَظيمِ قُدرَتِهِ علىٰ إعطاءِ كُلِّ ذي رَغْبَةٍ، أنْ يوفِّقَني وإيّاكَ لما فيه رضاهُ من الإقامَةِ علىٰ العُذرِ الواضِحِ إليه وإلىٰ خَلْقِهِ، مع حُسْنِ الثَّناء في العِبادِ، وجَميلِ الأَثَرِ في البِلادِ، وتمام النِّعمةِ، وتَضعيفِ الكرامَةِ، وأن يَخْتِمَ لي ولَكَ بالسَّعادةِ والشَّهادَةِ ﴿إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعونَ﴾[1].

★ ★ ★

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٦.

الفصل العاشر:

وصيّته لكميل بن زياد

قال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي كميل بن زياد[١].

يا كُمَيلُ بن زياد، القُلوبُ أَوعِيَةٌ، فَخَيْرها أوعاها، احفَظ ما أقولُ لك: الناسُ ثلاثَةٌ، فعالِمٌ ربَّانيٌّ، ومُتَعَلِّمٌ علىٰ سبيلِ نجاةٍ، وهَمَجٌ رُعاع، أتباعُ كُلِّ ناعِقٍ، يميلونَ مع كُلِّ ريحٍ، لم يستَضيئوا بنورِ العِلْمِ، ولَمْ يلجأوا إلىٰ ركنٍ وثيقٍ.

العِلْمُ خَيْرٌ من المالِ، العِلْمُ يحرُسُكَ، وأَنْتَ تَحْرُسُ المالَ، العِلْمُ يزكو علىٰ العَمَلِ، والمالُ تنقصُهُ النَّفَقَةَ، ومَحَبَّةُ العالِمِ دَيْن يدانُ بها، العِلْمُ يُكسِبُ العالِمَ الطاعَةَ في حياته، وجميلَ الأُحدوثَةِ بعد مَوْتِهِ، وصَنيعَةَ المالِ تزولُ بزوالِهِ، ماتَ خَزَّانُ الأموالِ وهُمْ أحياءٌ، والعُلماء باقونَ ما بقِيَ الدَّهْرُ، أعيانُهُمْ مَفْقودَة، وأمثالُهُمْ في القُلوبِ مَوجودَةٌ، هاه، إنّ هَهُنا - وأشارَ بيدِهِ إلىٰ صَدْرِهِ - عِلماً لو أَصَبْتُ لهُ حَمَلَةً، بلىٰ أَصَبْتُهُ لقَباً غيرَ مأمونٍ عليْهِ، يستَعْمِلُ آلَةَ الدِّينِ للدُّنيا، يسْتَظْهِرُ بحجج اللهِ علىٰ كتابه، وبنِعمهِ علىٰ عِبادِهِ، أو مُنقاداً لأَهْلِ الحقِّ، لا بصيرَةَ لهُ

---

(١) هو كُمَيْل بن زياد بن نهيك النخعيّ (١٢ - ٨٢هـ/٦٣٣ - ٧٠١م)، تابعيّ من أصحاب عليّ بن أبي طالب. شهد صفين مع علي، وسكن الكوفة، وروى الحديث. قتله الحجّاج (الزركلي: الأعلام ٥/ ٢٣٤).

في إحيائه، يقْتَدحُ الشَّكَّ في قَلْبه بأوّل عارِضٍ من شِبههِ، لا ذا ولا ذاكَ، أو مَفهومٌ باللذاتِ، سَلِسُ القيادِ للشَّهَواتِ، أو مُغْرىً بجَمْع الأموالِ والادّخارِ، ولَيْسا من دُعاةِ الدّين، أقربُ شَبَهاً بهما الأَنعامُ السَّائِمةُ، كذلك يموتُ العِلم بمَوْتِ حامليهِ.

اللهُمَّ بَلىٰ، لا تَخلو الأرْض من قائمٍ للهِ بحُجَّةٍ، لِئلاّ تُبْطِل حِجَج اللهِ وبيِّناتهِ، أولئك هُمُ الأقلّونَ عَدداً، الأَعظَمون عنْدَ اللهِ قَدْراً، بهِمْ يَدْفَعُ الله عَن حِجَجِه حتَّىٰ يُؤدّوها إلىٰ نُظرائهِمْ، ويَزْرَعوها في قُلوبِ أشباهِهِمْ، هَجَمَ بهم العِلْمُ علىٰ حقيقةِ الأمرِ فٱستلانوا ما ٱستوعَرَ منه المُتْرَفونَ، وأَنِسوا بما ٱستَوْحَشَ منه الجاهلونَ، صَحِبوا الدُّنيا بأبدانٍ أرواحُها مُعَلَّقةٌ، بالمنظرِ الأعلىٰ، أولئك خُلفاءُ اللهِ في بلاده، ودُعاتُه إلىٰ دينهِ، هاه هاه شوقاً إلىٰ رؤيتهم، وأستَغْفِرُ اللهَ لي ولكَ. إذا شئتَ فَقُمْ[1].

★ ★ ★

(١) العقد الفريد ٢/ ٢١٢ - ٢١٣.

الفصل الحادي عشر:

وصايا متفرّقة للإمام عليّ

قال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه يوصي من يستعمله على الصدقات[1]:

انطَلِقْ على تقوىٰ اللّهِ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، ولا تُرَوِّعَنَّ مُسلِماً، ولا تَجْتازَنَّ عَلَيْهِ كارِهاً، ولا تأخُذَنَّ منه أكثَرَ من حَقِّ اللّهِ في مالهِ، فإذا قَدِمْتَ على الحيِّ فأنْزِلْ بمائِهِمْ من غيرِ أنْ تُخالِطَ أبياتهم، ثمَّ ٱمضِ إليهم بالسَّكينة وٱلوَقارِ حتى تقومَ بينَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، ولا تُخْدِجْ[2] بالتحِيَّةِ لهُمْ، ثمَّ تقول:

عبادَ اللّهِ، أَرْسَلَني إليكُمْ وليُّ اللّهِ وخَليفَتُه لآخُذَ مِنكُم حقَّ اللّهِ في أموالِكُمْ، فهَلْ للّهِ في أموالِكُمْ من حَقٍّ فتُؤَدّوهُ إلى وَلِيِّه؟ فإنْ قالَ قائِلٌ: لا: فلا تُراجِعْهُ، وإن أنْعَمَ لَكَ مُنعِمٌ فٱنطَلِق مَعَهُ من غَيْرِ أنْ تخيفَهُ أو توعِدَهُ أو تَعْسِفَهُ أو تُرْهِقَهُ، فخُذ ما أعطاكَ من ذَهَب أو فِضَّةٍ، فإنْ كانَ لهُ ماشِيَةٌ أو إبلٌ، فلا تَدخُلها إلا بإذنه، فإنَّ أكثَرَها لهُ، فإذا أَتَيْتَها فلا تَدْخُل عليها دخولَ مُتَسَلِّطٍ عليْهِ، ولا عنيفٍ به، ولا تُنَفِّرَنَّ بهيمَةً، ولا تُفزِعَنَّها؛ ولا تَسوءَنَّ صاحِبَها فيها، وٱصدَعِ المالَ صَدْعَيْنِ؛ ثمَّ خَيِّرْهُ،

---

(١) نهج البلاغة ٣/ ٢٣.

(٢) تخدج: تبخل.

فإذا ٱختارَ فلا تَعَرَّضَنَّ لما ٱختارَهُ، فلا تزالُ كذلك حتى يبقى ما فيه وفاءٌ لحقِّ اللّهِ في مالِه، فٱقبَض حقَّ اللّهِ منه، فإنِ ٱستقالَكَ فأَقِلْهُ، ثمَّ ٱخلطْهُما، ثمَّ ٱصنَعْ مِثلَ الذي صَنَعْتَ أوّلاً حتى تأخُذَ حقَّ اللّهِ في مالِه، ولا تأخُذَنَّ عَوداً[1] ولا هَرِمَةً، ولا مَكْسورةً، ولا مَهْلوسةً، ولا ذاتَ عَوارٍ، ولا تَأمَنَنَّ عليها إلاَّ مَنْ تَثِقُ بدينِه، رافقاً بمالِ المسلمين حتى يوصِلَهُ إلىٰ وليِّهم فيقسِمَهُ بينَهُمْ؛ ولا توكِلْ بها إلاّ ناصِحاً شَفيقاً، وأميناً حَفيظاً، غَيْرَ مُعْنِفٍ؛ ولا مُجْحِفٍ، ولا مُلْغِبٍ[2] ولا مُتْعِبٍ، ثمَّ ٱحدِرْ إلينا ما ٱجْتَمَعَ عِنْدَكَ نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللّه به، فإذا أخذها أَمينُكَ فأوعِزْ إليهِ ألاّ يحولَ بينَ ناقةٍ وبينَ فَصيلِها، ولا يُمَصِّرْ لَبَنَها[3] فَيَضرَّ ذلك بوَليدِها، ولا يُجهِدَنَّها رُكوباً، ولْيَعْدِلْ بين صواحباتها في ذلك وبينَها، وَلْيُرَفِّهْ على اللاغبِ[4] ولْيَسْتَأنِ بالنَّقيبِ والظالِعِ[5] ولْيورِدها ما تَمُرُّ به من الغُدُرِ، ولا يَعْدِلْ بها عن نبتِ الأرضِ إلى جوادِّ الطريقِ، ولْيُرَوِّحْها في السّاعاتِ، ولْيُمْهِلْها عِنْدَ النِّطاف والأَعشابِ حتى تأتيَنا بإذنِ اللّهِ بُدْناً مُنْقياتٍ غيرَ مُتْعَباتٍ ولا مجهوداتٍ، لِنَقْسِمَها على كتابِ اللّهِ وسُنَّةِ نَبيِّهِ صلىٰ الله عليه وآلِه، فإنَّ ذلِكَ أَعظَمُ لأَجْرِكَ، وأقربُ لرُشْدِكَ إن شاءَ اللّه.

★ ★ ★

(١) العود: المسِنّ من الإبل.
(٢) الملغب: الضعيف الأحمق.
(٣) أي يحلبه بأطراف الأصابع الثلاث.
(٤) اللاغب: المتعب.
(٥) الظالع: الأعرج.

وقال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه يوصي[1]:

احفَظوا عَنّي خَمساً، اثنتينِ واثنتينِ وواحدةً، ألا لا يخافَن أحدٌ مِنْكُم إلاَّ ذَنْبَهُ، ولا يَرْجُوَنَّ إلاّ رَبَّهُ، ولا يَسْتَحيي أَحَدٌ مِنْكُمْ إذا لَمْ يعلَمْ أنْ يتعلَّمَ، ولا يَسْتحيي أَحَدٌ منكُمْ إذا سُئِلَ وهو لا يعلمُ أنْ يقولَ: لا أعلم.

وأعلموا أنَّ الصَّبْرَ من الأمورِ بمنزلَةِ الرأسِ منَ الجَسَدِ، فإذا فارَقَ الرأسُ الجَسَدَ فَسُدَ الجَسَدُ، وإذا فارَقَ الصَّبْرُ الأُمورَ فسُدَتِ الأمورُ. ثُمَّ قال:

ألا أدلُّكُمْ على الفَقيهِ كلَّ الفقيهِ؟ قالوا: بلىٰ يا أميرَ المؤمنينَ، قال: مَنْ لم يوئِسِ الناسَ من روحِ اللّهِ، ولَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ من رَحْمَةِ اللّهِ، ولَمْ يؤمِّنِ الناسَ من مَكْرِ اللّه، ولَمْ يُزيِّن للنّاس المعاصي، ولا ينْزِلِ العارفينَ الموحِّدينَ الجنَّةَ، ولا يُنْزِلِ العاصينَ المُوَحِّدينَ النارَ، حتى يكونَ الرَّبُّ عَزَّ وجَلَّ هو الذي يقضي بينَهُمْ.

لا يأمَنَنَّ خَيْرُ هذه الأمَّةِ من عذابِ اللّهِ تعالىٰ، واللّهُ عزَّ وجَلَّ يقول:

﴿فلا يأمَنُ مَكْرَ اللّهِ إلاّ القَوْمُ الخاسِرونَ﴾[2]، ولا ييأسْ شَرُّ هذه الأُمَّة من روح الله تعالى، فاللّهُ سبحانه يقول: ﴿إنَّه لا ييأَسُ من روحِ اللّهِ إلاّ القَوْمُ الكافرونَ﴾[3].

★ ★ ★

---

(١) البيان والتبيين ٢/ ٧٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية ٩.
(٣) سورة يوسف، الآية ٨٧.

وقال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه يوصي بعد ما ضربه ابن مُلْجم[1]:

وصيَّتي لكُمْ أن لا تُشرِكوا باللّهِ شيئاً، ومحمَّدٌ صلّىٰ الله عليه وآلهِ فلا تُضَيِّعوا سنّتَهُ، أقيموا هٰذين ٱلعَمودينِ وخَلاكُمْ ذَمٌّ.

أنا بالأمسِ صاحِبُكُمْ، واليومَ عِبرَةٌ لكُمْ، وغَداً مُفارِقُكُمْ، إنْ أَبْقَ فأنا وَلِيُّ دَمي، وإنْ أفْنَ فٱلفَناءُ مِيعادي، وإنْ أَعْفُ فٱلعَفْوُ لي قُربَةٌ، وهُوَ لكُمْ حَسَنَةٌ، فَٱعْفُوا ﴿ألا تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ﴾[2].

واللّهِ ما فجأني منَ الموتِ واردٌ كَرِهتُهُ، ولا طالِعٌ أنكرتُه، وما كُنْتُ إلاّ كقاربٍ وَرَدَ؛ وطالبٍ وَجَدَ، ﴿وما عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ للأبرار﴾[3].

★ ★ ★

قال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه يوصي بنيه بعد أن ضَرَبه ابنُ مُلْجِم[4]:

يا بُنَيَّ، إياكُمْ أنْ تَخوضوا في دِماء المسلمينَ، وأنْ تقولوا: قُتِلَ أميرُ المؤمنينَ، ألا لا يُقْتَلَنَّ فيَّ إلاّ قاتِلي، وضَرْبَةٌ بضَرْبَةٍ، فإياكَ يا حَسَنُ وٱلمُثْلَةَ، فإنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ نَهَى عَنْها، ولو بٱلكَلْبِ العَقورِ.

★ ★

قال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه يوصي[5]:

---

(١) نهج البلاغة: ٣/ ٢١.

(٢) النور: ٢٢.

(٣) آل عمران: ١٩٨.

(٤) المعمرون ص٢٥٢ - ١٥٣.

(٥) شرح نهج البلاغة ٤/ ١٨.

أوصيكُمْ بخَمْسٍ لو ضَرَبْتُمْ إليها آباطَ الإبلِ لكانَتْ لذلك أهلاً، لا يرْجُوَنَّ أحدٌ منكم إلاّ ربَّهُ، ولا يخافَنَّ إلاّ ذَنْبَهُ، ولا يَسْتحِيَنَّ أَحَدٌ إذا سُئِلَ عَمَّا لا يَعْلَمُ أنْ يقولَ لا أعلَمُ، ولا يسْتَحِينَّ أحَدٌ إذا لم يعلمِ الشيءَ أن يتعلَّمَهُ، وعليكُمْ بالصَّبْر، فإن الصَّبْر من الإيمان كالرأس منَ الجَسَدِ، ولا خيرَ في جَسَدٍ لا رأسَ مَعَهُ، ولا في إيمانٍ لا صَبْرَ مَعَهُ.

★ ★ ★

وقال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه يوصي(١):

لا يُزَهِّدَنَّكَ في المعروفِ مَنْ لا يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ، فقد شَكَرَكَ عَلَيْهِ مَنْ لمْ يَسْتَمْتِعْ مِنْكَ بشيءٍ، وقَدْ يُدْرَكُ من شُكرِ الشَّاكرِ أكثَرُ مِمّا أضاعَ منه الكافِرُ.

★ ★ ★

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه يوصي(٢):

لا تؤاخِ الفاجِرَ، فإنَّه يُزَيِّنُ لكَ فِعْلَهُ، ويُحِبُّ لو أنَّكَ مِثْلُهُ، ويُزَيِّنُ لَكَ أَسْوأَ خِصالِهِ، ومُدْخَلُهُ عَلَيْكَ ومُخْرَجُه من عِنْدكَ شَيْنٌ وعارٌ، ولا الأَحْمَقَ، فإنَّهُ يَجْتَهِدُ بِنَفْسِهِ لكَ ولا يَنْفَعُكَ، ورُبَّما أرادَ أنْ يَنْفَعَكَ فيَضُرُّكَ، فسُكوتُهُ خَيْرٌ من نُطْقِه، وبُعْدُه خَيْرٌ من قُربِهِ، ومَوْتُه خَيْرٌ من حَياتِه، ولا الكذَّابَ، فإنَّه لا يَنْفَعُكَ مَعَهُ عَيْشٌ، يَنْقُلُ حَديثَكَ، ويَنْقُلُ الحَديثَ إليكَ، حتى إنَّهُ ليُحدِّثُ بالصِّدْقِ فما يُصَدَّقُ.

★ ★ ★

---

(١) الفاضل ص٩٤.
(٢) عيون الأخبار ٣/ ٧٩.

وقال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه يوصي بما يعمل في أمواله، كتبها بعد مُنصَرفه من صِفِّين[1]:

هذا ما أمَرَ به عبد اللّه عليّ بن أبي طالب في مالهِ ٱبتغاءَ وجهِ اللّهِ، ليولِجَهُ به الجنَّةَ، ويعطيهِ به الأَمَنَةَ، وأنَّه يقومُ بذلك الحَسَنُ بن عليّ، يأكُلُ منه بٱلمعروفِ، ويُنْفِقُ في المعروفِ، فإنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وحُسَيْنٌ حَيٌّ قامَ بالأَمْرِ بَعْدَهُ، وأصدَرَهُ مَصدَرَهُ.

وإنَّ لابني فاطِمةَ من صدقَةِ عليٍّ مِثْلَ الذي لِبَني عليٍّ، وإني إنَّما جَعَلْتُ القِيامَ بذلِكَ إلى ٱبني فاطِمةَ ٱبتغاءَ وجهِ اللّهِ؛ وقُربةً إلى رسولِ اللّهِ، وتكريماً لحُرْمته، وتشريفاً لوُصْلَتهِ.

ويَشْتَرِطُ على الذي يجْعَلُهُ إليه أنْ يَتْرُكَ المالَ على أصوله، وينفِقَ من ثَمَرِهِ حيثُ أُمِرَ به وهُدِيَ له، وأن لا يبيعَ من أولادِ نَخْلِ هذه القُرى وَدِيَّةً[2] حتى تُشكِلَ أرضُها غِراساً.

ومَن كانَ من إمائي اللاتي أطوفُ علَيْهِنَّ لها وَلَدٌ، أو هي حامِلٌ، فَتُمْسِكُ على وَلَدِها، وهي من حَظِّه، فإنْ ماتَ ولدُها وهي حَيَّةٌ فهِيَ عَتيقَةٌ، قدْ أخرجَ عنْها الرِّقُّ، وحَرَّرها العِتْقُ.

★ ★ ★

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه يوصي عسكرَه قبل اللقاء بصفين[3]:

لا تُقاتِلوهُمْ حتىٰ يبدأوكُمْ، فإنَّكُمْ بحمدِ اللّه علىٰ حُجَّةٍ، وترككُمْ

(١) نهج البلاغة ٣/ ٢٢.
(٢) الودية: صغار الفسيل من النخل والشجر.
(٣) نهج البلاغة ٣/ ١٤.

إياهُمْ حتىٰ يبدأوكم حُجَّةٌ أخرىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فإذا كانت الهَزيمَةُ بإذنِ اللّهِ، فلا تقتُلوا مُدْبراً، ولا تُصيبوا مُعْوِراً، ولا تُجهزوا على جَريحٍ، ولا تَهيجوا النِّساءَ بأذىً وإن شَتَمْنَ أعراضَكُمْ وسَبَبْنَ أمراءَكُمْ، فإنَّهُنَّ ضَعيفاتُ القُوىٰ والأنفُسِ والعُقولِ، إنْ كُنّا لَنُؤمَرُ بالكَفِّ عَنْهُنَّ وإنَّهُنَّ لمُشْرِكاتٌ، وإنْ كانَ الرَّجُلُ ليتناوَلُ المرأةَ في الجاهلية بالفِهْرِ أو الهراوةِ فيُعَيَّرُ بها وعَقِبُه من بعدِه.

★ ★ ★

قال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه يوصي جيشاً[1]:

فإذا نَزَلْتُمْ بعَدوٍّ، أو نَزَلَ بكُمْ؛ فليكُنْ معسكَرُكُمْ في قَبيلِ الأشرافِ أو سِفاحِ الجبالِ، أو أثناءِ الأنهارِ؛ كيما يكونَ لكم رِدْءاً، ودونَكُمْ مَرَدًّا، ولتكن مُقاتَلَتُكُمْ من وجهٍ واحدٍ أو ٱثنين، وٱجعَلوا لكم رُقباءَ في صَياصي الجبال، ومناكب الهِضاب لئلاّ يأتيكُمُ العدوُّ من مَكانِ مَخافةٍ أو أَمْنٍ.

وٱعلَموا أنَّ مُقَدِّمَةَ القومِ عيونُهُم، وعيونُ المقدِّمة طلائِعهم، وإياكم والتَّفَرُّقَ، فإذا نَزلْتُم فٱنزِلوا جميعاً، وإذا ٱرتحلتُم فٱرتَحلوا جميعاً، وإذا غَشِيكُمْ الليلُ فٱجعلوا الرِّماحَ كِفَّةً[2]، ولا تَذوقوا النَّومَ إلاّ غِراراً أو مَضْمَضَةً.

★ ★ ★

وقالَ الإمام عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه يوصي يوم موته[3]:

---

(١) نهج البلاغة ٣/ ١٣.

(٢) أي في حالة اهبة، وهي مشرّعة.

(٣) مروج الذهب ٢/ ٤٢٤.

كلُّ آمرئٍ ملاقيهِ ما يَفِرُّ مِنْهُ، والأَجَلُ تُساقُ النَّفْسُ إليهِ، والهَرَبُ منه مُوافاتُه، كم طردتُ الأيامَ أتحيَّنُها من مَكنونِ هذا الأمرِ، فأبى اللّهُ عزَّ وجلَّ إلاّ إخفاءَهُ، هَيهاتَ عِلْمٌ مكنونٌ، أمَّا وصيَّتي:

فاللّهَ لا تُشْرِكوا به شيئاً، ومُحمَّداً لا تُضيِّعوا سنَّتَهُ، أقيموا هذين آلعمودَيْنِ. حَمَلَ كُلُّ آمرىءٍ مِنْكُمْ مَجْهودَهُ، وخَفَّف عن الحملةِ ربٌّ رَحيمٌ، ودينٌ قَويمٌ، وإمامٌ عليمٌ.

كُنَّا في إعصارٍ ذي رياحٍ تحت ظلِّ عمامَةٍ اضمَحَلَّ راكدها فَمَحَطَها[1] من الأرض حَيّاً، وبَقِيَ من بعدي جُثَّةً جأواءَ، ساكنةً بعْدَ حَرَكَةٍ، كاظمةً بعد نطقٍ.

لِيَعْظكُمْ هُدوئي، وخُفوتُ أطرافي، إنَّهُ أوْعَظُ لَكُمْ من نُطقِ البليغِ، ودَّعتُكُمْ وَداعَ آمْرِىءٍ مُرْصَدٍ لتَلاقٍ، وغَداً تَرَوْنَ ويُكْشَفُ عَن ساقٍ، عَلَيْكُم السَّلامُ إلى يومِ المرامِ، كُنْتُ بالأمسِ صاحِبَكُمْ، واليومَ عِظَةٌ لَكُمْ، وغداً مُفارِقُكُمْ، إنْ أَفِقْ فأنا وليُّ دَمي، وإنْ أَمُتْ فالقِيامَةُ مِيعادي، وآلعَفْوُ أقرَبُ للتَّقوى: ﴿ألا تُحِبّونَ أنْ يَغْفِرَ اللّهَ لكُمْ واللّهُ غَفورٌ رحيمٌ﴾[2].

★ ★ ★

(١) عام ماحط: قليل المطر.
(٢) سورة النور، الآية ٢٢.

فهرس المحتويات

المقدمة ٥

الباب لأوّل: وصايا الرسول ٧

الفصل الأوّل: ترجمته ٩

الفصل الثاني: وصيّته لمعاذ بن جبل ١٥

الفصل الثالث: وصيّته لأنس بن مالك ١٧

الفصل الرابع: وصيّته لحرملة بن عبد الله العنبري ١٩

الفصل الخامس: وصيّته لأبي هريرة ٢٠

الفصل السادس: وصيّته للإمام عليّ بن أبي طالب ٣٢

الفصل السابع: وصيّته لأبي ذرّ الغفاري ٤٢

الفصل الثامن: وصيّته لعقبة بن عامر ٤٣

الفصل التاسع: وصايا متفرّقة للرسول (ﷺ) ٤٤

الباب الثاني: وصايا أبي بكر الصديق ٤٩

الفصل الأوّل: ترجمته ٥١

الفصل الثاني: وصيّته لعمر بن الخطّاب ٥٢

الفصل الثالث: وصيّته لخالد بن الوليد ٥٣

الفصل الرابع: وصيّته لأبي عبيدة بن الجرّاح ٥٥

الفصل الخامس: وصيّته لأبي عبيدة قيس بن مكشوح ... ٥٧
الفصل السادس: وصيّته ليزيد بن أبي سفيان ٥٩
الفصل السابع: وصيّته لعمرو بن العاص ٦٢
الفصل الثامن: وصيّته لشرحبيل بن حسنة ٦٤
الفصل التاسع: وصيّته لهاشم بن عتبة ٦٥
الفصل العاشر: وصيّته لخالد بن سعيد بن العاص ٦٦
الفصل الحادي عشر: وصيّته لعثمان بن عفّان ٦٨
الباب الثالث: وصايا عمر بن الخطّاب ٦٩
الفصل الأوّل: ترجمته ٧١
الفصل الثاني: وصيّته لسعد بن أبي وقّاص ٧٣
الفصل الثالث: وصيّته لعبيد بن مسعود الثقفي ٧٦
الفصل الرابع: وصيّته ليعلى بن أميّة ٧٧
الفصل الخامس: وصيّته لعتبة بن غزوان ٧٨
الفصل السادس: وصيّته لأبي موسى الأشعري ٨٠
الفصل السابع: وصيّته للأحنف بن قيس ٨٣
الفصل الثامن: وصيّته لابنه عبد الله ٨٤
الفصل التاسع: وصيّته للخليفة من بعده ٨٦
الفصل العاشر: وصايا متفرّقة لعمر بن الخطاب ٨٩
الباب الرابع: وصايا الإمام علي بن أبي طالب ٩٣
الفصل الأوّل: ترجمته ٩٥
الفصل الثاني: من وصاياه لابنه الحسن ٩٧
الفصل الثالث: وصيّته لابنه محمد ١١٤
الفصل الرابع: وصيّته لولديه الحسن والحسين ١١٧

الفصل الخامس: وصيّته لمعقل بن قيس الرياحيّ ١١٩
الفصل السادس: وصيّته لقيس بن سعد ١٢٠
الفصل السابع: وصيّته لشريح بن هانئ ١٢١
الفصل الثامن: وصيّته لعبد اللّه بن العبّاس ١٢٢
الفصل التاسع: وصيّته لمالك بن الحارث الأشتر ١٢٣
الفصل العاشر: وصيّته لكميل بن زياد ١٣٨
الفصل الحادي عشر: وصايا متفرّقة للإمام عليّ ١٤٠
فهرس المحتويات ١٤٩

جروس برس